الكرد في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ (ت. ٥٨٤هـ/١١٨٨م) من الناحية العسكرية

زهرة عبد الوهاب عبد الجليل

جامعة دهوك \ كلية التربية الأساسية \ قسم التاريخ

tiyamaz818@gmail.com

د. كولى حسين محمد

جامعة دهوك \ كلية التربية الأساسية \ قسم التاريخ

gule.mohammad@uod.ac

الكلمات المفتاحية: أسامة بن منقذ، الاعتبار، الأكراد، الحروب الصليبية، الفروسية الإسلامية، بلاد الشام في العصور الوسطى، شيزر..

كيفية اقتباس البحث

عبد الجليل، زهرة عبد الوهاب ، كولى حسين محمد ، الكرد في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ (ت. ٥٨٤هـ/١١٨٨م) من الناحية العسكرية ،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، آب ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:٨ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The Kurds in Usama ibn Munqidh's (d. 584 AH/1188 CE) Military Perspective

Zahra Abdul Wahab Abdul Jalil
University of Duhok / College of Basic Education / Department of History

Dr. Goli Hussein Mohammed
University of Duhok / College of Basic Education / Department of History

Keywords : Usāma ibn Munqidh, al-Iʿtibār, Kurds, Crusades, Islamic chivalry, medieval Levant, Shayzar.

How To Cite This Article
Abdul Jalil, Zahra Abdul Wahab , Goli Hussein Mohammed , The Kurds in Usama ibn Munqidh's (d. 584 AH/1188 CE) Military Perspective,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, August 2026,Volume:16, Issue 8.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

This study examines Kurdish presence in Kitāb al-Iʿtibār by Usāma ibn Munqidh (488–584 AH / 1095–1188 CE), a source whose scholarly value derives less from its systematic organisation than from its author's sustained, first-hand engagement with nearly nine decades of military and political life across the medieval Islamic world. The starting point of the research is the observation that Kurds appear with remarkable frequency throughout the text, yet this phenomenon has received little dedicated attention in existing scholarship, which has tended to approach al-Iʿtibār through the lenses of chivalry, the Crusades, and daily life without pausing to examine the Kurdish dimension on its own terms.

The research reads the relevant passages through a methodology that combines literary analysis attentive to the author's subjectivity and selectivity with historical criticism grounded in the criteria of direct witness and reliable transmission. Its central findings are that Ibn Munqidh consistently presented Kurds across three interlocking registers: as fighters fully embedded in mixed Islamic forces alongside Arabs and Turks under a shared banner; as warriors animated by a value system centred on loyalty, religious commitment, and courage; and as human beings susceptible to tragedy, grief, and the full range of human fragility. The study further demonstrates that the source's unusual documentary worth lies precisely in its personal, eyewitness character, which captured Kurds in the texture of lived experience rather than in the abstracted categories of official discourse. Kurdish integration into the military and social fabric of Shayzar and its surroundings was not a contingent arrangement but a historically rooted relationship that surfaces in the author's repeated expressions of esteem, grief, and admiration. Geographically, the study traces Kurdish presence from Shayzar and the Orontes basin through Hama, Homs, and Hisn al-Jisr, extending to the Kurdish highland regions around Mosul and Diyar Bakr.

الملخص

يتناول هذا البحث الحضور الكردي في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ (٤٨٨-٥٨٤هـ/١٠٩٥-١١٨٨م)، ذلك المصدر الاستثنائي الذي دوّن فيه صاحبه تجربة حياة امتدت قرابة تسعة عقود عاشها في قلب الحروب الصليبية وفي رحاب البلاطات الإسلامية الكبرى. وقد انطلق البحث من ملاحظة مفادها أن الأكراد يحضرون في هذا الكتاب حضوراً لافتاً ومتكرراً، غير أن هذا الحضور ظل بمنأى عن الدراسة المستقلة المعمّقة، إذ اكتفت معظم الدراسات التي تناولت الاعتبار بمقاربة موضوعات الفروسية والصليبيين والحياة اليومية دون أن تتوقف عند هذه الظاهرة بما تستحقه من تمحيص.

وقد عمد البحث إلى استقراء النصوص المتعلقة بالشخصيات والجماعات الكردية التي أدرجها ابن منقذ في سياقات يومية حيّة بعيدة عن الخطاب الرسمي المصطنع، مستعيناً بمنهجية تجمع بين التحليل الأدبي الواعي بالذاتية ودواعي الانتقاء، والنقد التاريخي القائم على شرطَي الحضور والإسناد. وقد خلص البحث إلى أن ابن منقذ قدّم الكردي من خلال ثلاثة أبعاد متشابكة: فارس مندمج في تشكيلات إسلامية مختلطة لا تفصل بين عربي وتركي وكردي، ومقاتل تحرّكه منظومة قيم قوامها الوفاء والدين والإقدام، وإنسان تطاله المأساة في أعمق صورها وتداهمه لحظات الضعف والانكسار.

وقد كشف البحث أن أبرز ما يمنح هذا المصدر قيمته المنهجية هو طابعه الشخصي العياني الذي أتاح التقاط الكردي في واقعه المعاش لا في صورته الرسمية المجرّدة، وأن الاندماج الكردي في منظومة الحياة العسكرية والاجتماعية لإمارة شيزر وما جاورها لم يكن وليد ظرف طارئ، بل كان نتاج تراكم تاريخي متجذّر عبّر عنه المؤلف في عبارات الترحم والتكريم والإعجاب التي أضفاها على شخصياته الكردية. كما رصد البحث الامتداد الجغرافي لهذا الحضور من شيزر وحوض العاصي إلى حماة وحمص وحصن الجسر، ومنها إلى المناطق الكردية الجبلية في محيط الموصل وديار بكر.

المقدمة

حين يجمع مؤلف واحد بين أن يكون أميراً قاتل الصليبيين على أسوار شيزر، وأديباً دوّن ذكرياته في شيخوخة متأملة، وشاهداً عاش في قلب أحداث بلغت التسعة عقود، فإن ما يخلّفه من كتابة يستحق أن يُقرأ بعين مختلفة عن تلك التي تقرأ بها كتب التاريخ الرسمي. وكتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ (٤٨٨–٥٨٤هـ) هو بالضبط هذا النوع من المصادر التي لا تجود بها الأزمنة كثيراً.

وقد انطلق هذا البحث من سؤال بدا بسيطاً في ظاهره لكنه أثبت ثراءه كلما توغّل فيه الباحث: كيف حضر الأكراد في هذا الكتاب؟ وهو سؤال يبدو مشروعاً لأسباب عدة، في مقدمتها أن الاعتبار يُعدّ من أندر المصادر الأولية التي رصدت الواقع العسكري لبلاد الشام في حقبة الحروب الصليبية من موقع الشاهد المشارك لا الراوي البعيد، وأن الحضور الكردي كان ظاهرةً لافتة في نسيج تلك الحقبة، غير أنها ظلّت في هامش الاهتمام بما يخص دراسة هذا المصدر تحديداً.

وليس هذا بحثاً في تاريخ الأكراد السياسي، ولا هو محاولة لاستخلاص أحكام عامة عن وضعهم في الدولة الإسلامية الوسيطة. غايته أكثر تحديداً وأقل ادعاءً: أن يقرأ بعين نقدية ما قاله ابن منقذ عن الأكراد الذين عاش بينهم وقاتل جنباً إلى جنب معهم، وأن يستخلص من تلك القراءة ما يمكن استخلاصه بأمانة دون أن يتجاوز حدود ما يقوله المصدر فعلاً.

والملاحظة التي دفعت إلى هذا البحث هي أن ابن منقذ لم يُفرد للأكراد باباً خاصاً ولم يُعرّفهم بوصفهم فئة قائمة بذاتها، بل أدرجهم في ثنايا سرده بصورة تكشف عن اندماج حقيقي لا عن حضور عارض. فحين يُعرّفك بمقاتل قائلاً "في جندنا رجل كردي"، فإن ضمير الجمع هذا يحمل في طيّاته خبراً أنثروبولوجياً أهم في تقديري من كثير من التصريحات التاريخية الكبرى.

وحين يختم ذكر أحد هؤلاء الأكراد بعبارة "رحمه الله"، فإن هذه الكلمات الثلاث ليست صيغة تعبدية اعتيادية فحسب، بل مؤشر لغوي على طبيعة العلاقة التي ربطته بهم.

وقد رسم البحث لنفسه ثلاثة أهداف: الأول استخلاص الصورة التي قدّمها ابن منقذ للكردي في أبعادها العسكرية والأخلاقية والإنسانية معاً دون إسقاط بُعد على حساب آخر. والثاني تحليل طبيعة العلاقة التي نشأت بين الأكراد وإمارة شيزر وما جاورها من إمارات، ومستوى اندماجهم في التشكيلات العسكرية الإسلامية المختلطة. والثالث رسم الخريطة الجغرافية لهذا الحضور بما يتيح فهماً أوسع لطبيعته ووظائفه في السياق التاريخي لعصر الحروب الصليبية.

اعتمد البحث على منهجية تحليلية نقدية تقرأ النص في ضوء أدوات التحليل الأدبي الواعية بالذاتية وما تُفرزه من انتقاء، وفي ضوء النقد التاريخي الذي يُقيّم الرواية بحسب ما توافر لصاحبها من حضور مباشر وإسناد موثوق. وقد اقتصر البحث على المصدر الأولي دون سواه، إذ إن الهدف الأساسي هو فهم ما يقوله ابن منقذ بدقة قبل الانتقال إلى مقارنته بما قاله غيره، وهو ما يصح تأجيله إلى بحث لاحق يستكمل الصورة من خلال مصادر معاصرة كذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي والكامل في التاريخ لابن الأثير.

وقد جاءت هيكلة البحث في أربعة مباحث: يتناول الأول التعريف بالمصدر ومؤلفه والسياق التاريخي للأكراد في تلك الحقبة، ويُفرد الثاني لصورة الكردي في ميدان الحرب من خلال نماذج فردية وجماعية ومن خلال الخصائص الفروسية التي رصدها المؤلف، فيما يتوقف الثالث عند الأبعاد الأخلاقية والإنسانية في هذه الصورة، ويختتم الرابع بدراسة العلاقات الاجتماعية والانتشار الجغرافي للحضور الكردي في الكتاب.

التمهيد

كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ

يُعدّ كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ (ت. ٥٨٤هـ) من أثمن المصادر الأولية في التاريخ الإسلامي الوسيط، لا لأنه سرد الأحداث السياسية الكبرى وحسب، بل لأنه وثّق الحياة العسكرية والإنسانية اليومية بعين شاهد عيان جمع بين الفروسية والثقافة. وقد أفصح المؤلف نفسه عن طبيعة كتابه حين قال إن ما أورده "طرف أخبار حضرت بعضها وحدثني بعضها من أثق به جعلتها إلحاقاً[١] [٢]في الكتاب" (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ١٦٩)، وهو ما كشف عن منهجية مزدوجة جمعت بين المشاهدة المباشرة والرواية الشفهية الموثوقة.

وتضاعفت قيمة هذا المصدر حين تبيّن أن صاحبه عاش تجربة ميدانية استثنائية امتدت قرابة تسعة عقود، إذ أخبر أنه "لقي من الأهوال وتقحّم المخاوف والأخطار ولاقى الفرسان وقتل الأسود

وضُرب بالسيوف وطُعن بالرماح وجُرح بالسهام" حتى بلغ "تمام التسعين" (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ١٦٣). فضلاً عن أنه أقام في دمشق "ثماني سنين وشهد فيها عدة حروب" وحظي بتقريب أمرائها واحترامهم (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٤)، ثم انتقل إلى مصر وسائر الحواضر الكبرى في عصر الحروب الصليبية، مما جعله شاهداً على مراكز القرار السياسي والعسكري في آنٍ واحد.

والجدير بالملاحظة المنهجية أن ابن منقذ لم يكتب تاريخاً رسمياً منظّماً، بل صرّح بأنه يورد "من عجائب ما شاهده ومارسه في الحروب ما يحضره ذكره" (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٣٦)، وهو ما عنى أن الكتاب في جوهره مذكرات شخصية انبثقت من تجربة حيّة لا من تدوين أكاديمي مُسبق التخطيط. غير أن هذا الطابع الذاتي لم يُقلّل من قيمته التوثيقية، بل رفعها، لأنه أتاح رصد الشخصيات التاريخية في سياقاتها الإنسانية الحقيقية بعيداً عن خطاب المديح الرسمي أو التقرير الديواني.

ومن هنا تجلّت أهمية الكتاب بوصفه مصدراً لدراسة الأكراد في هذه الحقبة، إذ لم يذكرهم في سياق سياسي مُصطنع، بل قدّمهم في نسيج الحياة اليومية؛ فتارةً وُصف الكردي بأنه من أجناد الجيش المختلط يجمع بين "الشجاعة والدين والخير" (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٩٧)، وتارةً رصد المؤلف لحظاته الأكثر خصوصية كمياح الكردي الذي خرج للمعركة "وهو لابس وفوق درعه ثوب أحمر من ثياب العروس" (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٤٨)، وتارةً ثالثة وصف الأخوين الكرديين في مشهد تراجيدي انتهى باختفاء أحدهما عن الأنظار خجلاً وألماً (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ١١٦)، ووصف العجوز الكردية التي فقدت ولديها في حصن ماسر فصاحت قائلةً: "وأي شيء بقي للأمير يعمل بي؟ كان لي ولدان قتلهما" (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ١٥٨–١٥٩)، وأُختم بموقف الشيخ حمدات الكردي الذي رفض القعود في مسجده قائلاً: "قتلي على فرسي أشهى إليّ من الموت على فرشي"، ثم أثبت جدارته بطعنة خارقة في ختام عمره (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٤٩–٥٠).

وأثبتت هذه المشاهد مجتمعةً أن الاعتبار مثّل المصدرَ الأوّليَّ الأمثل لاستقراء صورة الكردي في الفكر العسكري والإنساني لدى ابن منقذ، لأنه لم يُنشئ لهم صورةً مقصودة، وإنما أثبتها الواقع المعاش بما لم تستطع وثيقة رسمية أن تبلغه.

2 – مكانة أسامة بن منقذ في التراث التاريخي الإسلامي

تميّزت مكانة أسامة بن منقذ في التراث التاريخي الإسلامي بخاصيتين نادراً ما اجتمعتا في مؤرخ واحد، هما الثقافة الأدبية الرفيعة والخبرة الميدانية المباشرة، فهو لم يكتب عن الحرب من موقع المتأمل أو الناقل، بل من موقع المشارك الذي خاض غمارها وعايش تفاصيلها على مدى عقود

متواصلة. وتجلّى ذلك في دقة تأريخه للأحداث وتوثيق تفاصيلها بأسماء وتواريخ لا تصدر إلا عمّن حضر وشهد، إذ قال في معرض حديثه عن معركة البلاط: "كسر الإفرنج على البلاط وذلك يوم الجمعة خامس جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة" مُضيفاً "كان أول قتال حضرته" (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٤٠)، وهو ما جعل روايته وثيقةً تاريخية بامتياز لا مجرد سرد أدبي. وتجلّت هذه الدقة في مواضع أخرى كقوله :"وذلك في يوم الخميس السادس من المحرم سنة ثمان وأربعين وخمس مائة" (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ١٨)، وهو ضبط زمني لا يتأتّى إلا لمن عاش الحدث أو كان قريباً منه.

وازدادت مكانته أهميةً حين تبيّن أنه لم يكن مجرد فارس ومقاتل، بل كان في الوقت ذاته مثقفاً يُجالس العلماء ويُفيد من حواراتهم الفكرية، إذ أشار إلى مناقشاته مع "الشيخ العالم أبو عبد الله محمد بن يوسف المعروف بابن المنيرة" في مسائل القتال والشجاعة (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٨٥)، وهو ما أثبت أن كتابه نتاج وعي مزدوج جمع بين الممارسة الحربية والتأمل الفكري، مما رفعه إلى مستوى المصدر الذي يمكن الوثوق بأحكامه وتقديراته لا الاكتفاء بروايته فحسب.

وقد لخّص ابن منقذ نفسه هذه المسيرة الاستثنائية بعبارة جامعة حين قال: "فكم لقيت من الأهوال وتقحمت المخاوف والأخطار ولاقيت الفرسان وقتلت الأسود وضربت بالسيوف وطعنت بالرماح وجرحت بالسهام وأنا من الأجل في حصن حصين إلى أن بلغت تمام التسعين" (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ١٦٣)، وهي عبارة جسّدت بجلاء أن ما بين يدي القارئ لم يكن مجرد تدوين ذاكرة، بل شهادة رجل عاش التاريخ وصنعه معاً.

يُضاف إلى ذلك أن اتساع علاقاته السياسية والعسكرية وانتقاله بين حواضر الإسلام الكبرى جعلاه مطّلعاً على مراكز القرار في عصره، فأقام في دمشق "ثماني سنين وشهد فيها عدة حروب" وحظي من أمرائها بـ"العطية والإقطاع والتقريب والإكرام" (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٤)، مما عنى أن شهادته لم تعكس منظور فرد منعزل، بل رؤية رجل كان في قلب الحدث السياسي والعسكري لعصر الحروب الصليبية

٣ – الحضور كردي في رواية أسامة بن منقذ في الاعتبار

كشفت رواية أسامة بن منقذ في الاعتبار عن حضور كردي لافت في النسيج الاجتماعي والعسكري للمشرق الإسلامي خلال القرن الثاني عشر الميلادي، إذ لم يرد هذا الحضور في سياقات سياسية رسمية أو خطابات أيديولوجية مقصودة، بل انبثق بصورة عفوية من ثنايا السرد اليومي الحي، مما جعل المصدر شاهداً معاصراً نادراً على الواقع المُعاش لا على الصورة المُتخيَّلة. فحين استحضر ابن منقذ شخصية "كامل المشطوب" واصفاً إياه بـ"الشجاعة والدين

والخير" (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٩٧)، أدرج الكردي في منظومة القيم الجهادية المشتركة دون أي تمييز عرقي. وفي موضع آخر رصد مقاتلاً كردياً يُدعى "مياح" في لحظة إنسانية بالغة الشاعرية، إذ خرج إلى المعركة "وفوق درعه ثوب أحمر من ثياب العروس" (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٤٨)، فجمع السرد في صورة واحدة بين الحرب والعرس وبين البطولة والهشاشة البشرية، مما عكس عمق اندماج هؤلاء المقاتلين في الحياة الاجتماعية المحيطة بهم.

وعلى صعيد علاقة الكردي بالسلطة، تجلّت نماذج مثيرة للدراسة، كشيخوخة المقاتل "حمدات" الذي عرض عليه الأمير عزّ الدين التقاعد تكريماً لخدماته، غير أنه رفض قائلاً: "والله لا تطاوعني نفسي على القعود في البيت" (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٤٩)، وهو ما جسّد نمطاً من الهوية المهنية العسكرية الراسخة تجاوز الولاء القبلي ليبلغ مرتبة الاختيار الوجودي.

أما أبلغ المشاهد دلالةً فتمثّل في الأخوين الكرديين "بدر وعناز" في عسكر حماة، حيث عثر أحدهما على رأس أخيه في ساحة الوغى، فـ"استحيى [٣] من الناس وخرج من حماة، فما ندري أين قصد ولا عدنا نسمع له خبراً" (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ١١٦). وانطوى هذا المشهد الذي لا يستقيه إلا مصدر حاضر للحدث على أبعاد نفسية واجتماعية أغنت تاريخ الحروب الصليبية بما هو أعمق من الروايات الرسمية، وأثبت أن الاعتبار مثّل وثيقة أنثروبولوجية تاريخية فريدة رسمت ملامح الإنسان الكردي في أقاصي تجربته الإنسانية.

٤ – أنماط النقد عند ابن منقذ في تناوله الأكراد

شكّل موقف أسامة بن منقذ من الكردي في الاعتبار نمطاً تحليلياً مركّباً، إذ لم يقف عند حدود التوثيق العابر، بل انطوى على حكم نقدي متأنٍّ جمع بين الإعجاب والتمييز والتعاطف الإنساني في آنٍ واحد.

وتجلّى النمط النقدي الأول في تفريق المؤلف بين أفراد الجماعة الكردية وعدم إدراجهم في خانة واحدة مجردة؛ ففي حديثه عن الفارس "سرهنك" لاحظ أنه "كان شاباً وجمعه رجل كهل له ميزة بالسن والتقدمية في الشجاعة" (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٣٦)، وهو ما كشف أن المؤلف قيّم الكردي بحسب معايير الخبرة والسن لا بحسب الأصل.

أما النمط الثاني فتمثّل في الإعجاب الصريح المصحوب بالتوثيق البلاغي، وبلغ ذروته في قوله عن "فارس الكردي": "كان كاسمه فارس وأي فارس" (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٩٥)، وهي صياغة جناسية لا تصدر إلا عن استحسان بالغ.

وكشف النمط الثالث عن تعاطف إنساني واعٍ في توثيق مشهد العجوز الكردية التي فقدت ولديها، إذ صرخت قائلةً: "وأي شيء بقي للأمير يعمل بي؟ كان لي ولدان قتلهما" (ابن منقذ،

٢٠١٠، ص. ١٥٨-١٥٩). وكان في اختيار ابن منقذ تسجيلَ هذا المشهد بكامل تفاصيله ما أفصح عن موقف إنساني لا تمييز فيه.

وأضاف النمط الرابع بُعداً دلالياً حين أورد قول حمدات بعد المعركة: "لو أن حمدات كان في المسجد من طعن هذه الطعنة؟" (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٥٠)، إذ نقل المؤلف فخر الكردي بإعجاب ضمني تسرّب من بين سطور النص.

وخلصت هذه الأنماط مجتمعةً إلى أن نظرة ابن منقذ إلى الكردي لم تكن نظرة المؤرخ المحايد، ولا نظرة الأمير إلى جنده، بل كانت نظرة شريك في تجربة إنسانية مشتركة عاشها وشهد تفاصيلها على مدى عقود.

المبحث الأول: التعريف بالمصدر والسياق التاريخي

أولاً: التعريف بأسامة بن منقذ وكتابه

1. حياته ورحلاته وكتابه

أ. شيزر

تنهض شخصية أسامة بن منقذ (٤٨٨-٥٨٤هـ / ١٠٩٥-١١٨٨م) في تاريخ الحضارة الإسلامية الوسيطة بوصفها نموذجاً فريداً لا يُستعاد بيسر، فقد أفلح هذا الرجل في أن يجمع في شخصه ما يتعذّر اجتماعه في الغالب؛ إذ كان أميراً يرتاد ميادين الوغى، وأديباً يُجيد تشكيل اللغة، ومؤرخاً أمسك بخيوط الحدث من داخله لا من ضفافه. ومن حصن شيزر المنيع في شمال الشام انطلقت معارفه الأولى بالعالم العسكري، وفيه خاض غمار مواجهاته المباشرة مع الصليبيين التي طبعت وعيه وأمدّت قلمه بمادته الخصبة.

بيد أن حياة ابن منقذ لم تسِر في مسار مستقر، إذ داهمته نكبات متتالية اقتلعته من مستقراته وأجبرته على ارتياد البلاطات طالباً ومُكرَّماً في آنٍ معاً. وقد حبس المؤلف في كلمات قليلة مضمون أولى هذه المحن حين قال إن ما جرى له "أوحش قلبي"، وإن ما تلا ذلك كان أشد وطأةً إذ رُفع كل ما في داره «من الخيام والسلاح والرحل وقُبض على أمر أحبتي وتُتبِّع أصحابي فكانت نكبة كبيرة رائعة» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٣). وفي هذه العبارة المقتضبة ما يكشف عن انقلاب مفاجئ من الاستقرار إلى الاقتلاع، صار بعد ذلك ثيمةً متكررة في نسيج الكتاب.

أما على الصعيد العسكري، فقد نضجت شخصية ابن منقذ مبكراً في مواجهة التحدي الصليبي، وكان إفصاحه عن تجربته القتالية الأولى في غاية الدلالة على البُعد النفسي الذي أضفاه على كتابته: «كان أول قتال حضرته، فلما رأيت الإفرنج قد وصلوا إلى الناس هان علي الموت فرجعت إلى الإفرنج لأقتل أو أحمي ذلك العالم» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٤١). وهذه الشهادة

الذاتية المباشرة هي ما جعل الاعتبار يختلف جوهرياً عن المصادر التاريخية التي وثّقت الحروب من موضع البُعد والتجريد.

ب. دمشق

حين انتقل ابن منقذ إلى دمشق لم يكن انتقاله مجرد تهجير سياسي، بل كان انتقالاً إلى فضاء مختلف أتاح له رؤية أوسع للعلاقات بين الإمارات والقوى المتصارعة. وقد وصف هذه المحطة بقوله إن «الحال اقتضت مسيره إلى دمشق، ورسل أتابك تتردد في طلبه إلى صاحب دمشق، فأقام فيها ثماني سنين وشهد عدة حروب، وأجزل له صاحبها العطية والإقطاع وميّزه بالتقريب والإكرام» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٤). وكشف هذا التوصيف عن ثنائية صارخة تجمع بين الاضطرار والاحتفاء؛ فهو في الوقت ذاته لاجئ سياسي وضيف محظوظ تتسابق البلاطات على استقطابه.

غير أن هذه الإقامة المثمرة لم تدم، إذ «جرت أسباب أوجبت مسيره إلى مصر، فضاع من حوائج داره وسلاحه ما لم يقدر على حمله وفرّط في أملاكه» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٤–٥)، وبذلك انضافت نكبة ثانية إلى قائمة ما ابتُلي به. والجدير بالملاحظة أن المؤلف لا يكتفي بسرد الخسارة المادية، بل يُعنى بتسجيل معالم العلاقات الإنسانية التي صمدت أمام ضغط الأحداث، ومن ذلك أن الأمير معين الدين ظل «محسناً مُجملاً كثير التأسف على مفارقته مقرٌّ بالعجز عن أمره» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٤). وهذا الانتباه إلى المشاعر الإنسانية وسط الحسابات السياسية هو ما منح الاعتبار نكهته الأدبية الفريدة التي لا تنفصل عن قيمته التاريخية.

ج. مصر

في مصر وجد ابن منقذ استقبالاً لائقاً يُوحي بمكانته الرمزية العالية على الرغم مما مرّ به من نكبات. فحين وصل القاهرة أقرّه الحافظ لدين الله «ساعة وصوله وخلع عليه بين يديه ودفع له تخت ثياب ومائة دينار» وأقام بها «مدة إقامة في إكرام واحترام وإنعام متواصل وإقطاع زاج» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٦). وتؤكد هذه الاستضافة الفاخرة أن ابن منقذ كان يحمل معه رصيداً رمزياً وأدبياً يجعله مرغوباً في أرفع البلاطات، حتى حين تكالبت عليه المصاعب.

لكن الخسارة الأقسى التي مُني بها في مصر لم تكن من صنف المال ولا المتاع، بل كانت خسارة معرفية فادحة تجلّت في ضياع مكتبته. وقد عبّر المؤلف عن هذا الألم الخاص بمشاعر لا تخطئها عين القارئ حين قال: «ذهب من الكتب أربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة، فإن ذهابها حزازة في قلبي ما عاشت» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٣٥). والملفت في هذا الاعتراف أنه

يضع ضياع الكتب في مصافّ ما يبكى عليه دون سواه، وهو ما يكشف عن بُعد ثقافي عميق في شخصية هذا الأمير المقاتل.

د. الموصل وخدمة نور الدين

شكّلت مرحلة الانتساب إلى نور الدين محمود آخرَ فصول اندماج ابن منقذ الفعلي في دوائر السلطة، وقد وصف هذه العلاقة بقوله إنه «اتصل بخدمة الملك العادل نور الدين رحمه الله» وإن الأخير كاتب الملك الصالح «في تسيير أهله وأولاده الذين تخلفوا بمصر وكان محسناً إليهم» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٣٤). وتُظهر هذه الإشارة أن العلاقة بين الرجلين تخطّت حدود الخدمة الرسمية البرودة لتتبنى على اعتبارات إنسانية تشمل الرعاية الشخصية.

حين أدركت الشيخوخةُ ابنَ منقذ آثر الانزواء بدلاً من مواصلة الانخراط في متاهات السياسة، وعبّر عن هذا الاختيار الوجداني بصياغة شاعرية دالة: «أعجزني وهن السنين عن خدمة السلاطين فهجرت مغشى أبوابهم وقطعت أسبابي من أسبابهم ولزمت داري وجعلت الخمول شعاري ورضيت نفسي بالانفراد في الغربة ومفارقة الأوطان والتربة» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ١٦٤–١٦٥). وتنطوي هذه الكلمات على شيء من الرضا الفلسفي يجانس الإقرار بالعجز، وكأن المؤلف أراد أن يُودّع عالم الفاعلية بقدر من الكرامة الروحية.

هـ. مذكرات شخصية لا تاريخ رسمي

من أبرز ما يُميّز الاعتبار بين الكتابات التاريخية الوسيطة أن مؤلفه كان على وعي مبكر وصريح بطبيعة ما يكتبه وحدوده. فلم يدّعِ ابن منقذ أنه يُرسّخ تاريخاً رسمياً جامعاً، بل أعلن أنه سيورد من «عجائب ما شاهده ومارسه في الحروب ما يحضره ذكره، وما النسيان بمستنكر لمن طال عليه ممر الأعوام وهو وراثة بني آدم من أبيهم» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٣٦). وفي هذا الإقرار بالنسيان وعتبات الذاكرة ما يُفارق به ابن منقذ كثيراً من مؤرخي زمانه الذين آثروا إخفاء الثغرات التوثيقية خلف انسيابية السرد.

وقد ذهب المؤلف أبعد من ذلك حين فرّق صراحةً بين طبقتين من مادته الروائية؛ طبقة ما شهده بنفسه وطبقة ما رواه عمّن يثق بهم، قائلاً إن ما أورده «طرف أخبار حضر بعضها وحدّثه بعضها من يثق به جعلها إلحاقاً في الكتاب إذ ليست مما قصد ذكره فيما تقدم» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ١٦٩). وهذا التمييز المنهجي بين المشاهدة المباشرة والرواية الموثوقة ينبئ بوعي نقدي متقدم يجعل الكتاب أقرب إلى ما يُسمّى اليوم بالمذكرات النقدية منه إلى التأريخ الانطباعي البسيط.

ومن هنا يغدو التعامل مع الاعتبار تعاملاً مزدوجاً لا مناص منه؛ إذ يستلزم الجمع بين أدوات التحليل الأدبي التي تُدرك الذاتية وما تُفرزه من انتقاء وتأويل، وأدوات النقد التاريخي التي تُقيّم الخبر في ضوء شرطَي الحضور والإسناد.

و. قيمته بوصفه مصدراً أولياً — شهادة عيان مباشرة

تستمد قيمة الاعتبار العلمية من كونه شهادة عيان مباشرة كتبها رجل عاش الحدث من قلبه لا من أطرافه، وهو ما يُفارق به جوهرياً المصادر التي اكتفت بنقل الرواية عبر حلقات متسلسلة. فحين يُحيي ابن منقذ مجلساً فكرياً مضى قائلاً: «تفاوضنا يوماً في ذكر القتال ومؤدبي الشيخ العالم أبو عبد الله محمد بن يوسف المعروف بابن المنيرة رحمه الله يسمع» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٨٥)، فإنه لا ينقل خبراً بلغه بل يستحضر مشهداً مُعاشاً بتفاصيله الحية، مما يمنح روايته بُعداً أنثروبولوجياً تفتقر إليه كثير من الكتابات الرسمية لتلك الحقبة.

وتتأكد هذه المرجعية العيانية حين يُنسب المؤلف إلى نفسه دوراً مشاركاً لا دور المراقب، وقد فعل ذلك صراحةً بقوله «كان أول قتال حضرته» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٤٠)، وهو إسناد ذاتي يرفع الكتاب إلى مرتبة المصدر الأول لا الوسيط في السلسلة التوثيقية.

غير أن هذا المصدر الاستثنائي ينطوي على مفارقة زمنية دالة؛ فالرجل يكتب من موضع الشيخوخة والعزلة، معترفاً بما خلّفه الزمن في جسده وذاكرته، إذ يقول: «لما توقّلت ذروة التسعين وأبلاني مرّ الأيام والسنين صرت كجواد علاف لا لجواد المتلاف» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ١٦٠–١٦١). ومعنى ذلك أن الكتاب استُؤنف في زمن الكهولة والتأمل وهو ينهل من ذاكرة تعود إلى زمن الفاعلية والحضور المباشر، فجمع بين حيوية الشاهد وعمق المستعيد، وهو مزيج نادر في الكتابة الوسيطة يجعل الانتقائية الذاتية لديه مادةً للتحليل لا حاجزاً أمام الاستفادة.

ثانياً: السياق التاريخي للأكراد في عصر ابن منقذ

1. وجود الأكراد في جيوش الشام والجزيرة

لا يتطلّب الاستدلال على الحضور الكردي في الجيوش الإسلامية إبان عصر ابن منقذ تمحيصاً مضنياً في ثنايا الاعتبار، إذ يبدو هذا الحضور مُثبَّتاً بصورة تكشف عن اندماج بنيوي حقيقي لا عن مجرد تواجد عارض. فحين أشار المؤلف إلى المقاتل "كامل المشطوب" واصفاً إياه بأنه «في جندنا رجل كردي» ومقترناً هذا الوصف بصفتَي «الشجاعة والدين والخير» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٩٧)، كان ضمير الجمع في "جندنا" يُعلن أن الكردي لم يكن عنصراً غريباً يُستعان به للضرورة، بل كان جزءاً عضوياً من البنية العسكرية التي انتسب إليها الكاتب نفسه.

وعلى المنوال ذاته، جاء ذكر الفارس الكردي "مياح" بين "أجنادنا" في سياق تصوير أحد المواقف القتالية حين «طعن فارساً من الإفرنج أدخل قطعة من الزرد في جوفه وقتله» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٤٨)، وانطوى هذا الإدراج في ضمير الجمع على توحيد البطولة الفردية الكردية بالسياق الجهادي الجماعي. وفي السياق ذاته أطرى ابن منقذ شخصية يُدعى "فارس" وصفه بأنه «كان كاسمه فارس وأي فارس» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٩٥)، وهي صياغة تُنبئ بإعجاب شخصي تجاوز مجرد التسجيل الموضوعي.

ولم يقتصر ابن منقذ في توثيقه على لحظات الشرف والانتصار، بل تتبّع الكردي حتى في ساعات الهشاشة والانكسار؛ فقد أورد مشهد الكردي "ميكائيل" من "أجنادنا" في موقف وصفه بأنه «جاء في أوائل خيلهم منهزماً وخلفه فارس إفرنجي قد لزّه» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ١٢٢). وهذا التوثيق المزدوج لحالات الإقدام والانهزام يُثبت أن المؤلف رصد الواقع بكامل تناقضاته، مما يُعزز الثقة في شهادته ويرفعها فوق مستوى الإطراء المجرد.

وبهذا المعنى يُمثّل الاعتبار مرجعاً استثنائياً لدراسة التركيب الإثني للجيوش الإسلامية في حقبة الحروب الصليبية، إذ قدّم شواهد ميدانية حية على اندماج العنصر الكردي في هذه الجيوش بصورة تسبق ما أثبتته كثير من المصادر السياسية الرسمية المعاصرة.

2. اندماجهم في البنية العسكرية المختلطة مع العرب والأتراك

تُقدّم نصوص ابن منقذ شواهد نادرة على الطبيعة التركيبية للجيوش الإسلامية في بلاد الشام، وتكشف عن مستوى عميق من الاندماج الإثني الفعلي جمع الأكراد والعرب والأتراك في منظومة قتالية واحدة. ففي أحد المشاهد المعبّرة يذكر المؤلف وقوف «يحيى بن صافي وسهل بن أبي غانم الكردي وحارثة النميري وفارس آخر» في صف قتالي واحد (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٦٧–٦٨)، وهذا التعداد العفوي الذي يمزج الانتماءات دون أن يُعلّق عليها يُفصح عن واقع بنيوي مفاده أن الهوية الإثنية لم تكن معياراً للفرز في صفوف الجند.

وعلى صعيد التراتبية الداخلية للبنية العسكرية، وضع ابن منقذ في سياق توثيقي واحد كلاً من "سابه بن قنيب الكلابي" العربي و"مياح" الكردي، إذ وصفهما معاً بأنهما من «أجنادنا» ضمن استعراض لنماذج الطعنات البطولية (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٤٨)، وكانت في هذه الصياغة إذابة ضمنية للفوارق الإثنية في بوتقة الهوية العسكرية الجامعة.

وتكتمل هذه الصورة حين نعلم أن الكردي لم يكن منحسراً في موضع الجندي البسيط، بل كان يبلغ مراتب التميّز المعترف به. فقد أشار المؤلف إلى أن "سرهنك" كان «مقدَّماً في الأكراد» وإن أخذ عليه صغر سنّه مقارنةً بالفرسان الكهول الذين «لهم ميزة بالسن والتقدمية في الشجاعة»

(ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٣٦–٣٧). وما يُثير الاهتمام هنا ليس مجرد ذكر التقدم الوظيفي، بل وعي المؤلف بالتمايزات الداخلية داخل الجماعة الكردية ذاتها، وهو مستوى من الدقة التحليلية يُفارق النظرة الكتلية المجملة.

وتُرسّخ هذه الشواهد مجتمعةً قناعةً جوهرية: إن الجيوش الإسلامية في حقبة الحروب الصليبية كانت كياناً إثنياً مركّباً عمل وفق منطق التكامل الوظيفي لا التمييز العرقي، وهو ما يجعل الاعتبار وثيقةً نفيسة في فهم سوسيولوجيا الجيش الإسلامي الوسيط.

.3علاقة الأكراد بالإمارات المحلية — شيزر وحماة وغيرها

تكشف نصوص الاعتبار عن علاقة متجذّرة جمعت الأكراد بالإمارات المحلية في الشام والجزيرة، وتُثبت أن هذه العلاقة لم تكن انتساباً عسكرياً وظيفياً مؤقتاً، بل كانت منظومة متكاملة من الحقوق والواجبات المتبادلة تشبه في بعض وجوهها ما يُسمّى اليوم بعقد الولاء القائم على الخدمة والرعاية. فحين خاطب الأمير عزّ الدين مقاتله الكردي المُسنّ "حمدات" قائلاً له: «كبرت وضعفت، ولك علينا حق وخدمة، فلو لزمت مسجدك وأثبتنا أولادك في الديوان» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٤٩)، كان هذا الخطاب يُعلن صراحةً عن عقد ضمني قائم على الخدمة العسكرية في مقابل الرعاية والحضور المستمر عبر الأجيال.

والجدير بالإشارة أن المقاتل الكردي "حمدات" رفض هذا العرض ابتداءً، وعاد في وقت لاحق إلى عمي المؤلف قائلاً: «والله لا تطاوعني نفسي على القعود في البيت وقتلي على فرسي أشهى إلي من الموت على فرشي» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٤٩–٥٠)، وفي هذا الإفصاح ما يُجلّي أن الانتماء العسكري عند الكردي لم يكن انتماءً براغماتياً بحتاً، بل كان هوية وجودية راسخة.

وعلى صعيد دوافع القتال، أفصح الكردي "فارس" عن أعماق ولائه بصورة لافتة حين أجاب سؤالاً عن دوافعه: «والله ما قاتلت أريد السلامة، لكن لكم علي جميل وفضل كثير، وما رأيتكم في شدة مثل هذا اليوم فقلت أقاتل بين أيديكم» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٩٥–٩٦). وحوّل هذا الكلام الفعلَ العسكري من واجب مهني إلى استجابة أخلاقية مبنية على الامتنان والوفاء، وهو ما يُعطي الاندماج الكردي في الجيوش المحلية بُعداً إنسانياً يتخطى الحسابات المادية الجافة.

أما على صعيد الانتشار الجغرافي، فقد أثبت ابن منقذ أن الوجود الكردي لم يكن محصوراً في شيزر وحدها، إذ أشار إلى أن «في عسكر حماة أخوان كرديان اسم الواحد بدر واسم الآخر عناز» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ١١٦)، مما يُرسّخ صورة الانتشار الجغرافي المتعدد للعنصر الكردي عبر إمارات المنطقة. ويُكمل هذه الصورة نموذجُ "حسنون الكردي" الذي رسمه المؤلف بملامح دالة قائلاً إنه كان «من الفرسان الشجعان وهو شاب مقبول الصورة دقيق» (ابن منقذ،

٢٠١٠، ص. ٦٦)، وهو وصف ينتشل الكردي من طيّ المجهولية ليُدرجه في دائرة الحضور المُقيَّم.

وبالنظر إلى مجمل هذه الشواهد، يتبيّن أن علاقة الأكراد بإمارات الشام المحلية كانت علاقة توافق بنيوي نشأت عبر الزمن وتكرّست من خلال مسارات متعددة من الولاء الشخصي والرعاية المتبادلة، مما جعل الكردي ركيزةً عسكرية فاعلة في النسيج الدفاعي للمنطقة، لا مجرد مرتزق يستدعيه الخطر ويُقصيه الأمان.

المبحث الثاني: الكردي في ميدان الحرب والفروسية

أولاً: نماذج الفرسان الأكراد

– 1كامل المشطوب الكردي: الشجاعة في تجلياتها الجسدية

لا يعدم القارئ المتأمل في صفحات الاعتبار روائعَ من الرسم الشخصاني الذي يتخطى حدود التوثيق القتالي الجاف ليبلغ آفاق الفهم الإنساني العميق، ولعل أبرز ما في هذا الباب تلك النماذج الفروسية الكردية التي أولاها أسامة بن منقذ عنايةً استثنائية، وفي مقدمتها الفارس «كامل المشطوب» الكردي. فقد أرست الصورة التي رسمها له المؤلف مفهوماً راسخاً للثبات البطولي من خلال مشهدين متكاملين جاء الأول منهما موثّقاً لما يصفه ابن منقذ بقوله: إن الفارس الصليبي طعن حصان كامل «في موضع القلادة[٤] فمالت رقبته من شدة الطعن وخرجت القنطارية من أصل رقبة الحصان فضربت فخذ كامل المشطوب وخرجت من الجانب الآخر، وما تزعزع الحصان من تلك الطعنة ولا فارسه» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٩٦–٩٧). وفي هذا التوصيف دلالة بالغة، إذ لا تُستدعى إصابة الحصان والفارس معاً شاهداً على انهزامهما، بل على العكس تماماً، يتحول الجرح إلى مادة تدل على صمود لا على ضعف.

ثم يعود المؤلف في موضع ثانٍ ليضيف إلى هذا المشهد طبقةً دلاليةً أخرى، حين يُخبر بأن طعنةً ثانيةً أصابت الحصان ذاته «في جبهته خسفها ولم يتزعزع»، حتى غدت الجراحة بعد التئامها بالغةً من الاتساع ما يُدخل فيها الكف مضمومةً (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٩٧). ويكشف هذا الاهتمام بتتبع الجرح من لحظة وقوعه إلى لحظة اندماله عن منهج توثيقي خاص بابن منقذ، يقرأ فيه الفروسيةَ عبر الجسد المجروح لا عبر الانتصار المحقق؛ فالجسد عنده لوحة تُستنطق منها معادلات الشجاعة والتحمل، لا مجرد آلة حربية.

وفي سياق موصول، استدعى ابن منقذ نموذج الكردي الشاب «حسنون»، واصفاً إياه بأنه «من الفرسان الشجعان وهو شاب مقبول الصورة دقيق» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٦٦)، في جمع نادر بين التقييمين الجمالي والعسكري معاً يكشف أن المؤلف أبى أن يُختزل الفارس الكردي في

أدائه القتالي وحده. كما أشار في موضع آخر إلى أن ثبات هذا الجند الكردي والعربي المختلط في مواجهة الحملات الصليبية جعلهم «لا يتزعزعون من مواقفهم» حتى في أحلك اللحظات (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٦٦)، مرسِّخاً بذلك صورةً أدمج فيها الكردي ضمن منظومة صمود جماعي لا يُحسب للجندي فيها انتماؤه بل ثباتُه وولاؤه.

وخلاصة القول، إن نماذج الفرسان الأكراد في الاعتبار ليست مجرد وثائق عسكرية، بل هي مادة خصبة لفهم أخلاقيات الفروسية الإسلامية الوسيطة بوصفها منظومة قيمية مشتركة تجاوزت الحدود الإثنية وصنعت هويةً مهنية جامعة.

– 2حمدات الكردي: الشيخ المقاتل والهوية التي لا تُستبدل

تنفرد شخصية «حمدات الكردي» في الاعتبار بأنها من أكثر النماذج الإنسانية تركيباً وعمقاً في الكتاب برمته، ولا تقتصر دلالتها على البُعد العسكري، بل تمتد لتجسّد إشكالية وجودية حقيقية تتمحور حول سؤال: ماذا يبقى من الإنسان حين يأخذ الزمن قوته ولا يأخذ هويته؟

حين عرض الأمير عزّ الدين على حمدات التقاعدَ المُكرَّم قائلاً: «كبرت وضعفت، ولك علينا حق وخدمة، فلو لزمت مسجدك... وأثبتنا أولادك في الديوان ويكون لك كل شهر ديناران وحمل دقيق» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٤٩)، أماط هذا العرض اللثامَ عن البنية العميقة للعقد الخدماتي الضمني الذي ربط المقاتل الكردي بإمارة شيزر؛ فالرعاية شملت الفرد وذريته معاً في اعتراف صريح بالدَّين التاريخي المتراكم. ولم تكن إجابة حمدات على هذا العرض أقل من إعلان هوية، إذ قال: «والله لا تطاوعني نفسي على القعود في البيت وقتلي على فرسي أشهى إليّ من الموت على فرشي» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٤٩–٥٠).

وفي ثنائية «الفرس» و«الفرش» تكثيف بلاغي استثنائي يفصح عن رفض وجودي للهوية البديلة التي أتاحها التقاعد؛ فالميدان ليس موضعاً يذهب إليه حمدات بل هو تعريفه لذاته، والموت عليه لا يرعبه بل يُريح نفسه التي لا تطاوعه على التخلي. وقد كان لهذا الإعلان ما يُسنده من فعل، حين انبرى الشيخ المُسنّ لمواجهة فارس صليبي حمل عليه من غربيه، فلما نُبِّه إليه «ردّ رأس فرسه شمالاً ومسك رمحه بيده وسدّده إلى صدر الإفرنجي فطعنه فنفذ الرمح منه، فرجع الإفرنجي متعلقاً برقبة حصانه في آخر رمق°» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٥٠). وفي هذا المشهد ما يُثبت أن الخبرة المتراكمة تعوّض ما أخذه الزمن من قوة عضلية، بل تجعل من الشيخوخة نفسها رصيداً تكتيكياً لا عبئاً.

وختم ابن منقذ هذا المشهد بلحظة فخر ذاتي صريح، حين نقل قول حمدات لأميره بعد انقضاء القتال: «يا أمير لو أن حمدات كان في المسجد من طعن هذه الطعنة؟» مستشهداً بشعر الفند

[٦]الزماني في تمجيد طعنة الشيخ الكبير (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٥٠). وفي هذا التوظيف الشعري في خاتمة المشهد ما يدل على أن ابن منقذ لم يكن يستعرض بطولة عابرة، بل كان يُؤطّرها في منظومة ثقافية وأخلاقية أوسع، جاعلاً من حمدات الكردي نموذجاً فذاً لدراسة تقاطع الهوية الإثنية بمنظومة القيم الفروسية في الحضارة الإسلامية الوسيطة.

– 3مياح الكردي: الزرد في جوف الإفرنجي، وقرب المأتم من العرس

يلجأ أسامة بن منقذ في روايته عن الكردي «مياح» إلى أسلوب سردي شديد التكثيف، يجمع في نطاق سطور معدودة بين قطبين متناقضين من التجربة الإنسانية لا يجتمعان في كتب التاريخ الرسمي عادةً. ففي الشطر الأول يبرز مياح فارساً كردياً من أجناد شيزر في لحظة بطولة صافية حين «طعن فارساً من الإفرنج أدخل قطعة من الزرد في جوفه وقتله» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٤٨)، وفي هذا التوصيف التقني الدقيق ما يكشف عن خبرة ميدانية مباشرة لدى المؤلف تجعله يُحدد آلية القتل لا يكتفي بإثباته.

ثم تنقلب الصورة في الشطر الثاني انقلاباً درامياً مفاجئاً، حين يُخبر المؤلف أن غارةً صليبية شُنّت بعد أيام معدودة وجد مياح نفسه في قلبها «وهو لابس وفوق درعه ثوب أحمر من ثياب العروس قد تشهّر[٧] به فطعنه فارس من الإفرنج فقتله رحمه الله»، ليختم المؤلف المشهد بعبارة رثائية موجزة بالغة الوقع: «يا قرب مأتمه من العرس» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٤٨). ويتجلى في هذا التركيب السردي وعي أدبي متعمد لدى ابن منقذ، حوّل فيه الثوبَ الأحمر من رمز الفرح إلى رمز المصرع في تحوّل لا يُتاح إلا لمن عاش اللحظة أو تلقّى روايتها من شاهد ثقة.

وتتجاوز قيمة هذا المشهد بُعدها الأدبي لتبلغ قيمةً أنثروبولوجية حقيقية؛ إذ وثّق ابن منقذ دون قصد توثيقي منهجي أن المقاتلين الأكراد في جند شيزر كانوا يعيشون حياةً اجتماعية متشابكة مع حياتهم العسكرية، يتزوجون فيها ويحتفلون ويعودون إلى المعركة والعروس في انتظارهم. وفي ذلك شهادة نادرة على الإنسان الكردي في كامل هشاشته وحيويته البشرية، بعيداً عن صورته المجردة كآلة قتال منفصلة عن دورة الحياة اليومية.

– 4فارس الكردي: الجراح والوفاء، أو حين يتحول الواجب إلى اختيار

ثمة في روايات ابن منقذ عن الفرسان الأكراد صنف نادر من النماذج يجمع بين البُعدين الجسدي والأخلاقي في آنٍ معاً، ولعل أجلاها تجسيداً شخصيةُ «فارس الكردي» التي أفصحت عن طبيعة الرابط العميق بين المقاتل الكردي والإمارة التي خدم في كنفها. فقد وصف المؤلف كيف أن هذا الفارس «قاتل قتالاً عظيماً وجُرح عدة جراح، ومازال يقاتل ويُجرح حتى أُثخن[٨] بالجراح وانفصل القتال» وحُمل بعدها «بين الرجال» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٩٥–٩٦)؛

فالتصاعد في وصف الجرح المتكرر جعل الجسد سجلاً مادياً للإرادة، إذ صارت كل إصابة إضافية دليلاً على عدم الانسحاب لا على وهن القدرة.

غير أن الأبلغ دلالةً لم يكن الفعل القتالي بذاته، بل التعليل الذي ساقه فارس حين وقف عليه والد المؤلف وعمه مهنئَين بالسلامة؛ إذ أفصح عن دوافعه قائلاً: «والله ما قاتلت أريد السلامة، لكن لكم علي جميل وفضل كثير، وما رأيتكم في شدة مثل هذا اليوم فقلت أقاتل بين أيديكم وأُجازيكم عن جميلكم وأُقتل قدامكم» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٩٥–٩٦). وفي هذا الإفصاح ما يُحوّل الفعل العسكري من واجب تعاقدي إلى فعل أخلاقي طوعي مبنيٍّ على مبدأ الامتنان والوفاء، وهو ما يكشف بدوره أن منظومة الولاء التي ربطت الكردي بآل منقذ استمدت طاقتها من الإحساس بالدَّين الشخصي لا من الإلزام المؤسسي وحده.

وتضاعف القيمة المنهجية لهذه الشهادة حين نلاحظ أن ابن منقذ أوردها في سياق تأملي تصنيفي صنّف فيه أصناف المقاتلين ودوافعهم، فجاء نموذج فارس الكردي نموذجاً على أرقى أشكال الدوافع القتالية وأنقاها. وكان هذا الاختيار التبويبي في حد ذاته موقفاً تقييمياً ضمنياً، رفع الكردي من موقع التابع إلى موقع النموذج الأخلاقي الجدير بالتأمل والاحتذاء.

٥ – أسد الدين شيركوه – الأكراد في خدمة القوى السياسية المختلفة–

"ووصلنا في طريقنا إلى بصرى فوجدنا الملك العادل نور الدين رحمه الله على دمشق. وقد وصل إلى بصرى الأمير أسد الدين شيركوه رحمه الله فسرت معه إلى العسكر، فوصلته ليله الاثنين" (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص.١٤).

أن ابن منقذ ذكره مصحوباً بالترحم "رحمه الله" وأنه ساير ركبه شخصياً، مما يُثبت أن الكردي بلغ مستوى الأمارة الكبرى لا الجندية فحسب.

ثانياً: الكردي في سياق المعارك الجماعية

– 1سهل بن أبي غانم الكردي: الفرسان الأربعة ومواجهة بدرهوا

يقدم لنا ابن منقذ في مشهد المواجهة بين «بدرهوا» الأفامي والفرسان الأربعة نموذجاً تحليلياً فريداً يكشف في آنٍ واحد عن ديناميكيتي الأداء العسكري الفردي والجماعي، لا سيما أن أحد أطراف هذه المواجهة كان فارساً كردياً مندمجاً في تشكيل متعدد الانتماءات. فحين يسرد المؤلف كيف أن بدرهوا «التفت فرأى أربعة فوارس منا من ناحيته: يحيى بن صافي وسهل بن أبي غانم الكردي وحارثة النميري وفارس آخر، فحمل عليهم فهزمهم ولحق واحداً منهم طعنه طعنة فشلة» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٦٧–٦٨)، يكشف تعدادُ الأسماء بانتماءاتها المتباينة داخل صف واحد عن الطابع الإثني المختلط للتشكيل العسكري الإسلامي؛ فالكردي «سهل» يقف جنباً إلى جنب

مع العربي النميري في وحدة قتالية جمعتهما ضمير المتكلم الجمعي» منا» الذي وظّفه المؤلف بوعي دلالي لافت.

والأكثر إثارةً للتأمل أن ابن منقذ لم يقف عند حد توثيق الهزيمة، بل تتبع أثرها النفسي والعسكري على هؤلاء الفرسان جميعاً، مسجّلاً أن «تلك الهزيمة منحتهم قلوباً غير قلوبهم وشجاعة ما كانوا يطمعون فيها فانتخوا وقاتلوا واشتهروا في الحرب وصاروا من الفرسان المعدودين بعد تلك الهزيمة» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٦٨). وفي هذه الملاحظة فلسفة تربوية عسكرية ضمنية آمن بها المؤلف، مفادها أن الهزيمة ليست خاتمة المسار بل نقطة انعطاف وجودية تولّد من الخزي دافعاً نحو التجاوز والتميّز.

ومن منظور تاريخ الأكراد في الجيوش الإسلامية الوسيطة، تكتسب هذه الرواية قيمةً استثنائية، إذ تُثبت أن «سهل بن أبي غانم الكردي» خضع للمعايير العسكرية ذاتها المعمول بها مع سائر زملائه بصرف النظر عن أصله، وأن مسيرة كل منهم بعد ذلك اليوم نُسجت على منوال واحد من الخبرة والمحنة المشتركتين، وهو ما يجسّد في أبهى صوره مفهوم التشكّل الجماعي للهوية المهنية العسكرية عبر التجربة الميدانية المعيشة.

– 2ميكائيل الكردي: معركة ابن ميمون ومنهج الصدق التوثيقي

تتميز رواية ابن منقذ عن الكردي «ميكائيل» بأنها من أكثر لحظات الكتاب صدقاً وأبعدها عن التجميل البطولي المقصود، إذ يرصد المؤلف بعين الشاهد المباشر فارساً كردياً في حالة انهزام لا انتصار، وهو ما يُثبت أن توثيقه للأكراد لم يكن انتقائياً يستحضر المجد ويُسقط الإخفاق. فقوله إن «في أجنادنا رجل كردي يقال له ميكائيل وقد جاء في أوائل خيلهم منهزماً وخلفه فارس إفرنجي قد لزّه، وللكردي بين يديه ضجيج وصياح عالٍ» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ١٢٢) يرسم بدقة الشاهد العياني صورةً إنسانية كاملة جمعت بين الهلع والفرار والصراخ دون أن يُلطّفها أو يعتذر عنها، وهو ما يُميّز الاعتبار عن الكتابة المدحية الرسمية التي دأبت على تنقية رواياتها من شوائب الضعف البشري.

فضلاً عن ذلك، أدرج المؤلف نفسه في المشهد فاعلاً لا راوياً فحسب، حين أخبر أنه لقي ذلك الفارس الصليبي المطارِد فمال عن الكردي وقصد جماعةً أخرى من الخيل، ثم تابع المؤلف الفارسَ الصليبي محاولاً طعنه «فلا يلحقه» حصانه (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ١٢٢). وفي هذا التشابك السردي ما يُحوّل المشهد من رواية أحادية إلى فضاء قتالي متعدد الأصوات، تتقاطع فيه مسارات المقاتلين بغض النظر عن انتماءاتهم الإثنية.

وتُثبت قراءة هذه الرواية في سياق مجمل شهادات ابن منقذ على الأكراد أنه وثّق الكردي بوصفه كائناً واقعياً يُصيب ويُخطئ ويثبت وينهزم، لا صنماً بطولياً مجرداً ولا عنصراً هامشياً مُغفَلاً. وكان هذا التوازن التوثيقي بين مشاهد الثبات ومشاهد الانكسار هو الذي منح الاعتبار مصداقيةً أنثروبولوجية لا تتوافر في المصادر التي آثرت تصفية الرواية التاريخية على حساب حقيقتها الإنسانية.

– 3الكردي إلى جانب التركي والعربي في صفوف المسلمين

تكشف نصوص الاعتبار المتفرقة بصورة متكررة عن حقيقة بنيوية جوهرية تتعلق بالتركيب الإثني للجيوش الإسلامية في حقبة الحروب الصليبية، مفادها أن العنصر الكردي لم يُشكّل وحدةً عسكرية منفصلة أو فيلقاً متمايزاً، بل كان مندمجاً اندماجاً عضوياً في تشكيلات مختلطة جمعته بالتركي والعربي تحت راية واحدة. فحين يُشير المؤلف إلى تسيير نور الدين «الأمير عين الدولة اليارقي في ثلاثين فارساً» ويذكر في وصف المسير أميراً تركياً «يقال له برشك» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ١٥)، يرسّخ مبدأ التعددية الإثنية داخل الوحدة العسكرية الواحدة، حيث يجمع أفرادها رابطُ الولاء للقيادة لا رابطُ الأصل المشترك.

وتتجلى هذه الحقيقة بأوضح صورها في مشهد توثيقي بالغ الأهمية، حين يُدرج ابن منقذ في سياق واحد ذكرَ الفارس العربي «سابه بن قنيب الكلابي» والفارس الكردي «مياح» باعتبارهما معاً من «أجنادنا» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٤٨). وفي هذا الاستخدام العفوي لضمير الجماعة ما يُثبت أن هذا الضمير استوعب العربي والكردي في دلالة هوياتية مشتركة تجاوزت الحدود القبلية والإثنية دون أن يعي المؤلف نفسه أنه يُقرر حقيقةً اجتماعية بالغة الأهمية.

وامتد هذا الاندماج من مستوى الأفراد إلى مستوى التكتيك الميداني الجماعي، حين أشار المؤلف إلى أن «رجالاً جياداً» وقفوا «من قِبَل الماء» يمنعون الإفرنج من الشرب والورود طوال نهارهم (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ١٠٠)، مُبيّناً أن وحدة الأداء الجماعي كانت هي المعيار لا وحدة الأصل. وتدعو هذه الشواهد مجتمعةً إلى مراجعة الأطر التحليلية التي تقارب جيوش الحروب الصليبية من منظور قبلي أحادي، لصالح منظور التشكّل المتعدد والتكامل الوظيفي الذي رسّخته شهادة ابن منقذ الميدانية المباشرة.

ثالثاً: خصائص الفروسية الكردية

– 1الشجاعة الشخصية وحب المبارزة: بين الإقرار والتمييز النقدي

لا تتسم رواية ابن منقذ عن الشجاعة الكردية بالإطراء المجمل الذي يُسبغ فضيلة الجرأة على جميع أبناء إثنية بعينها دون تمييز، بل تُخضع هذه الفضيلة لمعيار نقدي مزدوج يربطها بالخبرة

المتراكمة وبُعد النظر التكتيكي. فحين يتناول شخصية الفارس الكردي «سرهنك»، يُقرّ المؤلف بأنه «مقدَّم في الأكراد» شجاعةً ومكانةً، غير أنه يُقيّد هذا الإقرار بملاحظة نقدية مفادها أن من جمعه ذلك الموقف كان «رجل كهل له ميزة بالسن والتقدمية في الشجاعة» تجعله يفوق الشاب في الميزان العسكري الحقيقي (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٣٦–٣٧). وفي هذا التمييز الذي يصدره المؤلف داخل الوسط الكردي ذاته ما يُثبت أنه لم يعامل الأكراد بوصفهم كتلةً متجانسة، بل فرّق بين أفرادها وفق معايير الجدارة والخبرة التي طبّقها على سائر المقاتلين.

وفي سياق موازٍ، آثر المؤلف تصنيف «فارس الكردي» ضمن من «يقاتل للوفاء»، مُعلياً من هذا الدافع الأخلاقي على سواه من الدوافع المادية، ثم توّج هذا التصنيف بعبارة إعجاب بلاغية صريحة لا تصدر عادةً إلا عن استحسان أصيل، إذ قال: «كان كاسمه فارس وأي فارس» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٩٥). وهذا التوظيف الجناسي الذي يطابق فيه المؤلف بين الاسم العلم ومدلوله المهني أداةٌ بلاغية لا تُستعمل في العربية الأدبية إلا في معرض الاستحسان البالغ. ويُثبت هذان النموذجان مجتمعَين أن الشجاعة الكردية في رؤية ابن منقذ صفةٌ قابلة للتدرج والتقييم لا ختمٌ جاهز يُلصَق بجماعة بأسرها.

– 2الصبر على الجراح: حين يغدو الجسد المجروح وثيقةً تاريخية

أفرد ابن منقذ في الاعتبار اهتماماً توثيقياً لافتاً لظاهرة الصبر على الجراح بوصفها خاصيةً فروسية متميزة، وتجلى ذلك في روايته عن «فارس الكردي» الذي رصد من خلاله العلاقة النادرة بين الجرح والإرادة القتالية. فحين كتب أن الفارس «قاتل قتالاً عظيماً وجُرح عدة جراح، ومازال يقاتل ويُجرح حتى أُثخن بالجراح وانفصل القتال» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٩٦)، جسّدت الصياغة التكرارية «يقاتل ويُجرح» معادلةً لافتة مفادها أن الجرح تراكم فوق الفعل القتالي دون أن يُوقفه. وقد تابع المؤلف أثر الجرح في الزمن، إذ أخبر أنه رأى «ذلك الجرح الذي في فخذه بعدما اندمل وختم وهو كأكبر ما يكون من الجراح» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٩٧)، فأضاف إلى اللحظة العابرة بُعداً زمنياً حوّل الجرح إلى أثر دائم يحمله الفارس شاهداً على تجربة لا تُمحى.

وقد وظّف ابن منقذ مشاهد الجرح لدى الفارس الكردي «كامل المشطوب» بالأسلوب التوثيقي ذاته، حين أشار إلى أن طعنةً في جبهة حصانه «خسفها ولم يتزعزع»، وأن الجراحة بعد الاندمال بلغت من الاتساع حداً يُدخل فيها «الكف مضمومةً» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٩٧)، مما أضفى على الوصف الجسدي قدرةً شهادية تجعله أبلغ من أي خطاب تمجيدي مجرد. وفي هذا المنهج التوثيقي المبني على التفصيل الجسدي الدقيق لا على المديح العام ما يمنح الاعتبار

قيمةً مرجعية استثنائية لدراسة أخلاقيات الفروسية الإسلامية الوسيطة في أبعادها الجسدية والنفسية والرمزية.

– 3الإقدام في الشيخوخة: حمدات الكردي نموذجاً

تكتسب شخصية حمدات الكردي في سياق الخصائص الفروسية أهميةً مضاعفة، إذ لا تقتصر دلالتها على الشجاعة بل تمتد لتُجسّد مفهوماً أعمق هو الإقدام بوصفه اختياراً وجودياً واعياً في مواجهة حتمية الشيخوخة. فعبارته الشهيرة «والله لا تطاوعني نفسي على القعود في البيت وقتلي على فرسي أشهى إليّ من الموت على فرشي» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٤٩) تنطوي في ثناياها على رفض صريح للهوية البديلة التي يُتيحها التقاعد، إذ عرّف حمدات ذاته تعريفاً لا ينفصل عن الفعل القتالي.

ولم يبقَ هذا الإعلان في دائرة القول، بل تحقق في فعل ميداني موثّق أثبت أن الخبرة المتراكمة تصنع فارقاً تكتيكياً حقيقياً. وقد أبرز المؤلف هذه الحقيقة بأثرها على مستوى الخطاب أيضاً، حين نقل قول حمدات لأميره بعد انقضاء القتال: «يا أمير لو أن حمدات كان في المسجد من طعن هذه الطعنة؟» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٥٠)، وكان في هذا التساؤل الاستنكاري ما يحوّل الطعنةَ من فعل عسكري إلى دليل إدانة موجّه إلى منطق التقاعد ذاته. وإدراج المؤلف أبياتَ الفند الزماني شاهداً شعرياً في هذا الموضع يُثبت أنه رأى في مشهد حمدات تجسيداً لمفهوم فروسي كلاسيكي يستحق التأطير الثقافي والتنظير الأدبي.

– 4حضور الذهن: زهر الدولة بختيار القبرصي الكردي والفضيلة الفروسية العليا

يُفرد أسامة بن منقذ في الاعتبار باباً مستقلاً لخاصية «حضور الذهن»، رافعاً إياها إلى مرتبة الفضيلة الفروسية العليا التي تسمو على الشجاعة الجسدية المجردة، ومن أبرز نماذجه الكردية في هذا الباب الفارس «زهر الدولة بختيار القبرصي»، الذي قال عنه المؤلف: «حمل عليه رجل كردي يقال له زهر الدولة بختيار القبرصي سمي بذلك للطف خلقته وكان رحمه الله من فرسان المسلمين» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٨٦–٨٧). وتجمع هذه الجملة التعريفية وحدها بين ثلاث دلالات متضافرة: اللقب الرفيع، والمفارقة الجسدية التي يُختزل فيها اسم الفارس باسم نحافته، والترضية التي تضعه في دائرة المُقدَّرين عند المؤلف.

وتتجلى خاصية حضور الذهن في تفكير هذا الفارس الكردي حين وقع تحت الأسد، وكان تفكيره في تلك اللحظة الأقصى: «جسمي كما ترونه ضعيف نحيف... فقلت أشغله بها عن أضلاعي أو يدي أو رأسي إلى أن يفرج الله تعالى» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٨٦–٨٧). وفي هذه القدرة على ترتيب أولويات الجسد في لحظة الخطر الأقصى بدلاً من الاستسلام للهلع ما يُجسّد

بالضبط ما سمّاه ابن منقذ «حضور الذهن»؛ أي أن الاستجابة المحسوبة لا تكون تلقائيةً بل مُدارةً بعقل لا يُسلّم زمامه للخوف.

وتتضاعف قيمة هذا النموذج من منظور منهجي، إذ يُثبت أن الفارس الكردي ورد في الاعتبار ليس في السياقات القتالية الصرفة وحدها، بل حضر في باب الفلسفة الفروسية التأملية الذي خصّصه المؤلف لأرقى الصفات وأندرها. وبذلك يرتقي الكردي في رؤية ابن منقذ من مستوى الجندي المندمج إلى مستوى النموذج الأخلاقي الجدير بالتأطير الثقافي والتنظير الفروسي.

المبحث الثالث: القيم الأخلاقية والإنسانية عند الكردي في كتاب الاعتبار

أولاً: الوفاء والولاء — قصة فارس الكردي

تنفرد مذكرات أسامة بن منقذ في الاعتبار بمساحة توثيقية لا نظير لها في مصادر الحروب الصليبية، وذلك في رصدها للأبعاد الأخلاقية والإنسانية التي فسّرت دوافع الشخصيات الكردية وأضاءت خياراتها الوجودية. فقد تجاوز المؤلف في غير موضع حدود التوثيق العسكري الجاف ليرسم شخصياته الكردية من الداخل، مستكشفاً ما يحرّكها لا ما تفعله وحسب.

وأبرز ما في هذا الباب نموذجُ «فارس الكردي»، الذي لم يكتفِ ابن منقذ بتوثيق فعله القتالي بل أدرجه في إطار تصنيفي قيمي نادر، يُصنّف الناس وفق دوافعهم الباطنة لا إنجازاتهم الظاهرة. وقد اختاره شاهداً على من «يقاتل للوفاء»، مُتوّجاً له هذه المنزلة بعبارة إعجابية ذات جناس بلاغي صريح، إذ قال إنه «كان كاسمه فارس وأي فارس» وقد «حضر أبيه وعمه وقعةً كانت بينهما وبين سيف الدولة خلف بن ملاعب» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٩٥). وفي هذا الاختيار التبويبي الذي يفتتح به المؤلف الحديث عن هذا الفارس الكردي ما يُثبت أن المؤلف رأى فيه أولاً نموذجاً أخلاقياً جديراً بالتنظير، قبل أن يكون مقاتلاً يستحق التوثيق.

ولم يتأخر الدليل العملي على هذه المنزلة، فقد وصف المؤلف بعين الشاهد كيف «قاتل قتالاً عظيماً وجُرح عدة جراح ومازال يقاتل ويُجرح حتى أُثخن بالجراح وانفصل القتال» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٩٥)، ليُحمل بعدها بين الرجال. والجدير بالملاحظة أن بنية الجملة ذاتها تحمل دلالتها، إذ يتكرر الفعلان «يقاتل ويُجرح» في تتابع يجعل الجرح مصاحباً للفعل لا سبباً لوقفه. وحين أفاق الجريح ووقف عليه والد المؤلف وعمه مُهنئَين، أجابهما بعبارة تُعدّ من أندر الإفصاحات الأخلاقية في أدب الفروسية الإسلامية الوسيطة: «والله ما قاتلت أريد السلامة، لكن لكم علي جميل وفضل كثير، وما رأيتكم في شدة مثل هذا اليوم فقلت أقاتل بين أيديكم وأُجازيكم عن جميلكم وأُقتل قدامكم» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٩٥–٩٦).

وفي هذا الإفصاح ما يُحوّل الفعل العسكري من واجب مهني إلى اختيار أخلاقي طوعي مبنيٍّ على الامتنان والمجازاة؛ فالكردي لم يقاتل لأنه يُؤجَر على القتال، بل لأن رصيداً من الجميل المتراكم ألزم نفسه بسداده في أقصى لحظات الخطر. وهذا التمييز الدقيق بين الواجب التعاقدي والاختيار الأخلاقي كشف أن منظومة الولاء الكردية استمدت طاقتها من روابط الجميل الشخصي، لا من الإلزام المؤسسي وحده. وقد تضاعفت قيمة هذه الشهادة حين أوردها ابن منقذ في سياق تأملي مقصود يُصنّف أصناف الناس ودوافعهم، مما يُثبت أنه رأى في فارس الكردي نموذجاً أخلاقياً يستحق التنظير والتأطير النظري، لا مجرد حادثة قتالية تُذكر بالمرور. وكان هذا الاختيار التبويبي في حد ذاته موقفاً تقييمياً ضمنياً، رفع الكردي من موقع التابع العسكري إلى موقع النموذج الأخلاقي المُحتجّ به.

ثانياً: الكردي في لحظات الضعف الإنساني

- 1قصة الأخوين بدر وعناز: المأساة في أنقى صورها

لا تقتصر رواية ابن منقذ للمقاتل الكردي على مواضع البطولة والثبات، بل تمتد لتشمل لحظات الانهيار والهشاشة البشرية التي لا تصدر في هذا التفصيل الحسي إلا عن شاهد عيان أو عن رواية قريبة منه بمسافة الثقة. ويتجلى ذلك في مشهد الأخوين الكرديين «بدر وعناز» الذي يُعدّ من أعمق مقاطع الاعتبار إنسانيةً وأشدّها وطأةً في الآن ذاته.

فحين يصف المؤلف كيف أن «عناز» الكردي ضعيف البصر قطع رأساً في ساحة المعركة وعلّقه في سموط حصانه دون أن يعرف هويته، ثم حين نبّهه رفاقه من جند حماة إلى الأمر، أجابهم في أول وهلة قائلاً: «سبحان الله لما يجري بيني وبينه حتى قتلته» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ١١٦)، كشفت هذه الإجابة العفوية عن وثيقة نفسية نادرة؛ إذ دافع الجندي عن فعله وهو لا يعلم بعدُ أن القتيل أخوه. وفي هذا التسلسل الزمني بين الدفاع والاكتشاف إشارة إلى الصدمة وهي تتشكّل في الزمن الفعلي، لا في الرواية المُعادة بعد مرور الوقت.

وما إن تأمّل «عناز» الرأس وتعرّف إليه حتى انكشفت الحقيقة الهائلة: «فنظر وتأمله فإذا هو رأس أخيه فاستحيى من الناس وخرج من حماة، فما ندري أين قصد ولا عدنا نسمع له خبراً» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ١١٦). وقد زادت هذه الخاتمة المفتوحة من ثقل المشهد وكثافته الدلالية؛ إذ لم يُنهَ بموت مُريح يُغلق الجرح أو عودة تطهّر النفس، بل بصمت مطبق واختفاء أبدي يُعادل في دلالته انهيار الهوية حين يعجز الإنسان عن مواجهة ما اقترفته يداه.

وعلى صعيد منهجي، تكتسب هذه الرواية قيمةً مضاعفة في بُعدين متكاملين: فأنثروبولوجياً، أثبتت أن المقاتلين الأكراد في جيش حماة كانوا يُشكّلون وحدات عائلية تُقاتل معاً، مما يُلقي الضوء على طبيعة التجنيد وبنيته الاجتماعية في الجيوش الإسلامية الوسيطة. ومنهجياً، أكّدت أن توثيق ابن منقذ للمقاتل الكردي في لحظات الانهيار لا في البطولة وحدها هو ما منح شهادته تلك المصداقية التاريخية الاستثنائية، إذ صوّر إنساناً حقيقياً بكل هشاشته وعظمته معاً.

– 2العجوز الكردية في حصن ماسر: صوت المدني في نص الحرب

يوثّق ابن منقذ في كتاب الاعتبار مشهد العجوز الكردية في حصن ماسر بوصفه من أكثر مقاطع الكتاب توتراً وأشدّها تعرية لمعادلة القوة حين تواجه الفقد الإنساني المطلق. ويمتاز هذا المشهد بانفراده بإدخال صوت أنثوي مدني كردي في نص يهيمن عليه في الغالب صوت الفارس المحارب.

فحين أقبلت العجوز على الناطور تسأل عن ابنيها فتلقّت الإجابتين المتتاليتين بمقتل أحدهما برمية سهم وتنكيل الأمير بالآخر تنكيلاً لا يُنسى، صرخت في المأساة وكشفت رأسها «وشعرها كالقطنة المندوفة[٩]» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ١٥٨–١٥٩). وقد جسّدت هذه الصورة الجسدية الدقيقة توثيقاً لطقس الحداد الأنثوي في البيئة الكردية الوسيطة يُغني الأنثروبولوجيا التاريخية لهذه المجتمعات بما لا تستطيع توفيره المصادر الرسمية.

ثم بلغ المشهد ذروته حين طلب منها الناطور الصمت مراعاةً للأمير، فأجابت بعبارة لا تنطوي على نواح بل على اتهام صريح يُسقط هيبة السلطة أمام مطلق الفقد الإنساني: «وأي شيء بقي للأمير يعمل بي؟ كان لي ولدان قتلهما» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ١٥٨–١٥٩). وفي هذا الاختصار الحاد قوةٌ اتهامية لا تبقي للسلطة حجة ولا تُبقي لها مسافة.

والأشد دلالةً من منظور منهجي أن المؤلف آثر توثيق هذا الصوت المهمّش بكامل جرأته دون أن يُلطّفه أو يُحيّده، وهو ما يُثبت أن رواية ابن منقذ للأكراد لم تقتصر على السياقات العسكرية الذكورية بل امتدت لتشمل النساء والمدنيين والمعاناة التي تخلّفها الحرب في الجسد الاجتماعي الكردي. وفي ذلك ما يمنح هذا المصدر بُعداً إنسانياً شاملاً يُميّزه تمييزاً جذرياً عن المصادر الرسمية التي رصدت الحرب من قمتها لا من قاعها المعاش.

– 3أبو الجيش الكردي وابنته رفول: الفقد العسكري والصدمة النفسية

يوثّق أسامة بن منقذ في كتاب الاعتبار مشهداً إنسانياً استثنائياً يتجاوز في أثره حدود التوثيق العسكري ليبلغ أعماق الأثر النفسي الذي تخلّفه الحرب في المقاتل وذويه. فقوله: «وكان في جند

الجسر رجل كردي يقال له أبو الجيش وله بنت اسمها رفول قد سباها الإفرنج، وهو قد توسوس عليها يقول لكل من لقيه يوماً سبيت رفول!» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ١٤٩–١٥٠) ثم الإعقاب بمشهد اكتشاف جثتها في النهر بثوبها الأزرق، ينطوي على طبقات دلالية لا يُتاح التقاطها إلا لمن حضر الحدث أو تلقّى روايته من شاهد ثقة مقرب.

وتتوزع قيمة هذا المشهد التحليلية على مستويات ثلاثة متكاملة: فمن حيث البُعد الجغرافي، أثبت الشاهد أن الحضور الكردي في الاعتبار لم يقتصر على حوض العاصي وشيزر وحماة، بل امتد إلى حصن الجسر في الجزيرة الفراتية، مما يُوسّع الخريطة الجغرافية للانتشار الكردي ويُثبت تعدد مواقع اندماجهم في المنظومة العسكرية الإسلامية تجاوزاً لما رصدته شواهد سابقة. ومن حيث البُعد الاجتماعي، كشف النص أن المقاتلين الأكراد في جند الجسر كانوا أصحاب أسر وروابط قرابية ألقت بظلالها الثقيلة على نفسيتهم وسلوكهم في الخدمة العسكرية، مما يرسم صورة أكثر اكتمالاً للكردي بوصفه إنساناً مُثقلاً بالانتماءات.

أما الأشد عمقاً دلالةً فهو ما أبانه المشهد من تحوّل الفقد العسكري إلى انهيار نفسي موثّق؛ إذ لم يصف المؤلف رجلاً حزيناً بل رجلاً «قد توسوس» بات يُكرر شكواه لكل من يُصادفه في وسواس لا يُسكته الزمن. وهذه صورة للصدمة النفسية المزمنة لم تتح أدبيات الحروب الصليبية توثيقها على هذا النحو إلا لمؤلف جمع بين حساسية الشاعر وثقة الشاهد. وقد جاء مشهد الجثة في النهر بثوبها الأزرق ختاماً مفتوحاً على الألم، إذ حوّل البحثَ المجنون إلى يقين صامت أشد وطأةً من الجنون ذاته.

ثالثاً: الكردي بين الدين والقتال

– 1كامل المشطوب: حين يُتوّج الدينُ الشجاعةَ

تكشف صياغة ابن منقذ حين يتناول شخصية «كامل المشطوب الكردي» عن منهجية توصيفية خاصة؛ إذ يبدأ بتثليث وصفي لافت يجمع في الفارس الكردي بين «الشجاعة والدين والخير» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٩٦–٩٧). وفي هذا الترتيب الثلاثي ما يُثبت أن المؤلف لم يرَ في المقاتل الكردي آلة حرب مجردة، بل كياناً إنسانياً تتضافر فيه الكفاءة العسكرية والفضيلة الدينية والقيمة الأخلاقية في منظومة واحدة لا يُقدَّم فيها الأول على الأخير في الجوهر وإن تقدّم في الظهور.

وجاء الدليل الميداني على هذا الوصف في مشهد قتالي دقيق رواه المؤلف بعين الشاهد المباشر، حين طعن الفارس الصليبي حصان كامل «في موضع القلادة فمالت رقبته من شدة الطعن وخرجت القنطارية من أصل رقبة الحصان فضربت فخذ كامل المشطوب وخرجت من الجانب

الآخر، وما تزعزع الحصان من تلك الطعنة ولا فارسه» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٩٦-٩٧). وفي هذا التتبع التشريحي الدقيق لمسار الرمح ما يُحوّل الإصابة المزدوجة للفارس والحصان من دليل ضعف إلى شاهد صمود؛ فقد رأى المؤلف في مسار الرمح وصفاً يستحق الحفظ لا تسجيلاً للإصابة وحسب.

وزادت دلالةَ هذا المشهد خاتمتُه، إذ ختم ابن منقذ ذكر كامل المشطوب بترحّم صادق عليه «رحمه الله»، وهي صيغة لم يستخدمها الكتّاب الوسيطون إلا في حق من رسخ في وجدانهم بمكانته الروحية والأخلاقية، ما يُثبت أن الدين في شخصية كامل لم يكن وصفاً ظاهرياً مُلصقاً بل بُعداً حقيقياً عاشه من عرفوه. وعلى مستوى أعمق، أسّس هذا النموذج لفهم اندماج الكردي في المنظومة الجهادية الإسلامية اندماجاً تجاوز الانتساب العسكري الشكلي، ليبلغ مستوى الانتماء القيمي الحقيقي الذي لا تُوقفه حدود الأصل الإثني.

- 2حمدات: مستقبِلاً القبلة ومسدِّداً الرمح

يُبرز ابن منقذ في الاعتبار البُعد الديني في شخصية حمدات الكردي من خلال لحظة تشابك واضح بين الدافع الجهادي والهوية الفروسية، بلغت ذروتها في موقف حمل في طيّاته اختياراً وجودياً حاداً. فحين عرض عليه الأمير عزّ الدين التقاعد في المسجد تكريماً لخدماته، رفض الكردي المُسنّ هذا العرض بعبارة صريحة لا تتحمل الاحتمال: «والله لا تطاوعني نفسي على القعود في البيت وقتلي على فرسي أشهى إليّ من الموت على فرشي» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٤٩-٥٠).

وتكتسب هذه العبارة دلالةً دينيةً خاصة حين يُدرك القارئ أن الاختيار الذي رفضه حمدات لم يكن بين القتال والراحة المجردة، بل بين الميدان والمسجد تحديداً؛ مما يُشير إلى أن هذا الفارس الكردي المُسنّ لم يرَ في القتال تعارضاً مع الدين بل رأى فيه تجسيداً أتمّ لمعناه وأعمق تعبيراً عن غايته.

وتجلّت هذه الدلالة تجلياً بصرياً في المشهد القتالي الذي أعقب هذا الحوار مباشرةً، إذ وصف ابن منقذ حمداتَ واقفاً «على رفعة من الأرض مستقبل القبلة»، جامعاً في هذه الهيئة الواحدة بين التوجه التعبدي والاستعداد القتالي في آنٍ معاً. فلما حمل عليه فارس صليبي «ردّ رأس فرسه شمالاً ومسك رمحه بيده وسدّده إلى صدر الإفرنجي فطعنه فنفذ الرمح منه، فرجع الإفرنجي متعلقاً برقبة حصانه في آخر رمق» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٥٠)، وقد حوّل استقبالُ القبلة الطعنةَ القادمة من فعل قتالي إلى فعل جهادي واعٍ بسياقه الديني الكامل.

وفي مجمل هذا النموذج ما يكشف أن الهوية الدينية للمقاتل الكردي في وعي ابن منقذ لم تكن طبقةً خارجية مضافة على الهوية العسكرية بل كانت جوهرها الداخلي، الذي منح الفعل القتالي معناه العميق وجعل من الميدان فضاءً للعبادة لا بديلاً عنها.

– 3من يقاتل في سبيل الله: الكردي ضمن منظومة القتال الديني الجامعة

أدرج ابن منقذ في الاعتبار تأملاً تصنيفياً في دوافع القتال رتّب فيه أصناف المقاتلين وفق النية الباطنة لا الفعل الظاهر، مستنداً إلى المنظومة الأخلاقية الإسلامية التي ترفع الباعث الديني الخالص إلى أعلى مراتب الجهاد. وجاء في صدارة هذا التصنيف من «يقاتل كما كان الصحابة رضوان الله عليهم يقاتلون للجنة لا لرغبة ولا لسمعة» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٩٤–٩٥)، مستعيداً النموذج الصحابي معياراً أعلى تُقاس عليه دوافع المقاتلين في عصره.

وقدّم المؤلف الدليل التجريبي على هذا الصنف في رواية الفقيه وعبد الرحمن، اللذين لما واجها جيش الإفرنج المتقدم نحو الشام، قال الفقيه لصاحبه «سر على اسم الله تعالى فتقدما قاتلا حتى قُتلا رحمهما الله في مكان واحد» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٩٤–٩٥). وتكثّفت عبارة «في مكان واحد» لتُشير إلى وحدة المصير التي جمعتهما في الموت كما جمعتهما النية في الحياة.

وتكتسب هذه الرواية أهميةً منهجيةً مضاعفة حين تُقرأ في سياق ما أورده المؤلف عن المقاتلين الأكراد؛ إذ يتضح أنه أدرج نماذجه الكردية كفارس وكامل المشطوب وحمدات ضمن هذه المنظومة الدينية الجامعة التي تتجاوز الانتماء الإثني لتُصنّف البشر وفق نياتهم لا أصولهم. ومما يعزّز هذه القراءة أن المؤلف وزّع نماذجه الكردية على أبواب متعددة من كتابه دون أن يحشرها في باب «الأكراد» وحده، وهو ما يُثبت أنه رآهم جزءاً من الإنسانية المقاتلة في سبيل الله لا فئةً مصنّفة بأصلها الإثني. ويجعل هذا الإطار التصنيفي الجامع شهادةَ الاعتبار وثيقةً على طبيعة الهوية التي أنتجتها تجربة الجهاد الإسلامي في مواجهة الحروب الصليبية، هويةً أعلت المعيارَ الأخلاقي الديني على الانتماء القبلي والإثني.

رابعاً: الكردي في المجتمع المدني العسكري

يوثّق أسامة بن منقذ في الاعتبار مشهداً لافتاً يُدرج الكردي في موقع الفاعل الاجتماعي والاقتصادي المتكامل لا في موقع الجندي المجرد وحده، إذ يُورد قائلاً: «كل ذلك وأمة عجوز يقال لها بريكة مملوكة لرجل كردي من أصحابنا يقال له علي بن محبوب واقفة بين الخيل على شط النهر... وأكثر أصحابنا الذين كانوا على الشرف لما رأوا الإفرنج مقبلين في ذلك الجمع اندفعوا نحو المدينة وتلك الشيطانة واقفة لا يروعها ذلك الأمر العظيم» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ١٢٢–١٢٣).

وينطوي هذا المشهد الموجز على دلالات متعددة الأبعاد تستحق التأمل التحليلي. فمن حيث البنية الاجتماعية، أثبت أن بعض المقاتلين الأكراد في جند شيزر بلغوا مرتبة الملكية وامتلاك الخدم، مما يرفع وضعهم إلى ما فوق طبقة الجند المأجورين ويُدرجهم في النسيج الاجتماعي الأميري على مستوى أعلى. وهذا التفصيل الاقتصادي الذي أورده المؤلف عَرَضاً لا قصداً هو من أدلّ ما في الاعتبار على الاندماج الاجتماعي الكامل للكردي في مجتمع شيزر.

ومن حيث البُعد العسكري، كان الأشد دلالةً هو المقارنة الضمنية التي أقامها المؤلف بين المقاتلين الذين «اندفعوا نحو المدينة» لما رأوا الإفرنج مقبلين، وبين أمة مملوكة لكردي لم يروّعها «ذلك الأمر العظيم». وهذه المقارنة حملت نقداً عسكرياً صارماً جعلت فيه ثبات امرأة مملوكة مقياساً يُخجل أصحاب الخيل والسلاح. وقد اختار ابن منقذ وصف بريكة بعبارة «تلك الشيطانة» في لهجة مزيج من التعجب والإعجاب، مما يُفصح عن أن ثباتها في تلك اللحظة كان استثناءً بارزاً يستحق التسجيل والتعليق.

وفي المحصلة، يمنح هذا المشهد الباحثَ نافذةً نادرة على الكردي في أبعاده الاجتماعية الكاملة وليس في بُعده العسكري المجرد؛ فهو رجل يمتلك وينفق ويعيش حياةً أسريةً متكاملة متداخلة مع انتمائه العسكري، وهو ما يجعل صورته في الاعتبار أكثر اكتمالاً وأعمق إنسانيةً من الصورة التي تُتيحها المصادر التي اكتفت برصد الجندي في ساعة القتال وأغفلت الإنسان في ساعات السلم.

المبحث الرابع: الأكراد في كتاب الاعتبار — الخدمة العسكرية والعلاقات الاجتماعية والانتشار الجغرافي

أولاً: الأكراد في خدمة القوى السياسية المختلفة

1- الأكراد في خدمة آل منقذ بشيزر

حمدات الكردي: قِدَم الصحبة ورسوخ الولاء

لا يُقدّم ابن منقذ في الاعتبار نموذجَ حمدات الكردي في إطار الخدمة العسكرية العابرة التي تبدأ بعقد وتنتهي بفسخه، بل يرسم من خلاله صورةً لارتباط أعمق وأطول أمداً يمتد عبر أجيال متعاقبة. فحين يُعرِّف بحمدات مشيراً إلى أنه كان «قديم الصحبة قد سافر مع والدي رحمه الله إلى أصبهان إلى دركاه [١٠] السلطان ملكشاه[١١]» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٤٩–٥٠)، يُثبت هذا التأريخ الممتد إلى عهد والد المؤلف أن العلاقة بين حمدات وآل منقذ سبقت الجيل الحاضر وتجذّرت في ذاكرة الأسرة الجمعية. وفي هذا التجذّر ما يُحوّل الخدمة العسكرية من تعاقد مهني

قابل للإنهاء إلى رابط تاريخي متوارث يُشبه ما تُعرّفه الدراسات الإقطاعية الوسيطة بالولاء الشخصي المتأصّل.

وحين تقدّمت السن بحمدات وضعف بصره ونشأ له أولاد، لم تنقطع هذه العلاقة بل تحوّلت من شكل إلى شكل آخر؛ إذ عرض عليه الأمير عزّ الدين أن يُجري له «كل شهر ديناران وحمل دقيق» مقابل لزوم مسجده وإثبات أولاده في الديوان (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٤٩–٥٠). وفي هذا العرض كشف صريح عن بنية العقد الضمني الذي ربط المقاتل الكردي بإمارة شيزر؛ فالرعاية شملت الفرد وذريته معاً في اعتراف لا لبس فيه بأن الخدمة الطويلة تُولّد التزاماً اجتماعياً لا تُسقطه الشيخوخة ولا يُلغيه التقاعد. وقد مثّل هذا النموذج بمجمله وثيقةً نادرة لفهم آليات اندماج الكردي في المنظومة السياسية لإمارات الشام الصغيرة، إذ أثبت أن هذا الاندماج لم يكن وليد الحاجة الآنية بل كان ثمرة تراكم تاريخي متوارث جعل من الكردي جزءاً من النسيج الحي لشيزر.

حمدات الكردي: رفض القعود وطلب العودة إلى القتال

يكشف موقف حمدات من التقاعد الذي عرضه عليه الأمير عزّ الدين، ثم عودته طالباً استئناف الخدمة العسكرية، عن طبقة أعمق في منظومة القيم التي حرّكت المقاتل الكردي في خدمة آل منقذ. فحين أقبل على أميره قائلاً: «والله لا تطاوعني نفسي على القعود في البيت وقتلي على فرسي أشهى إليّ من الموت على فرشي» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٥٠)، جسّدت ثنائية «الفرس» و«الفرش» رفضاً وجودياً صريحاً لهوية التقاعد؛ فالميدان ليس موضعاً يذهب إليه حمدات بل هو تعريفه لذاته، وغيابه عنه موت أشد إيلاماً من الموت الحقيقي.

والأكثر دلالةً في هذا المشهد أن الأمير لم يُماطل في الاستجابة بل أجاب بعبارة موجزة وحاسمة: «الأمر لك وأمر بردّ ديوانه عليه كما كان» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٥٠)، وفي هذه الاستجابة الفورية ما يُثبت أن العلاقة بين الكردي وسيّده لم تكن علاقة سيطرة أحادية الاتجاه، بل كانت علاقة يحتفظ فيها المقاتل بحق المبادرة ويحظى باحترام إرادته. وكشف هذا الحوار في مجمله أن الهوية العسكرية بلغت لدى بعض المقاتلين الأكراد مرتبة التعريف الوجودي الكامل الذي تجاوز حدود الواجب المهني والمصلحة المادية معاً.

حمدات الكردي: قصة الثريدة[١٢] في طريق أصفهان

لا يقتصر توثيق ابن منقذ لحمدات الكردي على مشاهد الجهاد والشيخوخة والبسالة، بل يُضيف إلى صورته بُعداً إنسانياً نادراً يُكمل الشخصية من حيث يُتوقع الاكتفاء. فقد استحضر المؤلف طرفةً حكاها له والده عن حمدات في طريق أصفهان، مُصدِّراً إياها بوصف دال حين أشار إلى

أن حمدات كان «ظريف الحديث» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٥١)، وهو توصيف أدرج المقاتل الكردي في منظومة اجتماعية تُقدّر الفكاهة والظرف إلى جانب الشجاعة على قدم المساواة.

وتجلّت هذه الظرافة حين سأله والد المؤلف ذات سحر في الطريق إن كان قد أكل شيئاً، فأجاب بأنه أكل ثريدة، فلما استغرب الأمير كيف ذلك وهم لم ينزلوا ولم يوقدوا ناراً، ردّ عليه قائلاً: «يا أمير عملتها في فمي أخلط في فمي الخبز وأشرب عليه الماء يصير كالثريدة» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٥١)، محوّلاً بذلك الحرمان إلى مادة للدعابة الذكية. وتكتسب هذه الطرفة قيمةً منهجيةً تتجاوز ظاهرها الفكاهي، إذ تُثبت أن العلاقة بين حمدات وآل منقذ امتدّت من ميدان القتال إلى رفقة السفر الطويل، وأن توثيق المؤلف لها في هذا الموضع إنما أكمل صورةً إنسانية متكاملة لمقاتل كردي جمع البسالة والدعابة والوفاء في شخصية واحدة متماسكة.

– 2مياح الكردي: من أجناد شيزر يقتل إفرنجياً ويُقتل في يوم عرسه

يوثّق ابن منقذ مشهدَ المقاتل الكردي مياح بأسلوب سردي شديد التكثيف يجمع في سطور معدودة بين طرفين متناقضين من التجربة الإنسانية نادراً ما تحتفظ بهما الكتابة العسكرية الرسمية معاً. ففي الشطر الأول يبرز مياح فارساً من أجناد شيزر في لحظة بطولة صافية حين «طعن فارساً من الإفرنج أدخل قطعة من الزرد في جوفه وقتله» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٤٨)، وهو وصف تقني دقيق يكشف عن معرفة ميدانية مباشرة لدى المؤلف، إذ حدّد آلية القتل الجسدية لا نتيجته وحسب.

غير أن المشهد ينقلب في شطره الثاني انقلاباً درامياً مباغتاً، حين يُخبر المؤلف أن غارةً شُنّت بعد أيام معدودة «ومياح قد تزوج وخرج وهو لابس وفوق درعه ثوب أحمر من ثياب العروس قد تشهّر به فطعنه فارس من الإفرنج فقتله رحمه الله»، مُنهياً المشهد بعبارة رثائية موجزة بالغة الأثر: «يا قرب مأتمه من العرس» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٤٨). وفي هذا التركيب السردي ما يُحوّل الثوبَ الأحمر من رمز الفرح إلى علامة المصرع في تحوّل لا يُتاح توثيقه إلا لمن عاش الحدث أو تلقّى روايته من شاهد ثقة.

وتتجاوز قيمة هذا المشهد بُعده الأدبي لتبلغ أهميةً اجتماعية حقيقية، إذ أثبت أن المقاتلين الأكراد في جند شيزر كانوا يعيشون حياةً اجتماعية كاملة متداخلة مع واجباتهم العسكرية، مما جعل هذا النص شاهداً نادراً على الإنسان الكردي في كامل أبعاده البشرية.

– 3كامل المشطوب الكردي: التعريف به والإرث العائلي للقب

قدّم ابن منقذ شخصية «كامل المشطوب الكردي» منذ أول ذكر له بوصف ثلاثي جامع، إذ عرّفه بأنه «في الشجاعة والدين والخير» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٩٦)، وهو توصيف تجاوز

النعت العسكري المعتاد ليُدرج المقاتل الكردي في منظومة قيمية تجمع الكفاءة الحربية بالفضيلة الدينية والأخلاقية في آنٍ واحد. وجاء الدليل الميداني في مشهد قتالي دقيق وصفه المؤلف بعين الشاهد المباشر، إذ أخبر أن الفارس الصليبي «طعن حصانه في موضع القلادة فمالت رقبته من شدة الطعن وخرجت القنطارية من أصل رقبة الحصان فضربت فخذ كامل المشطوب وخرجت من الجانب الآخر، وما تزعزع الحصان من تلك الطعنة ولا فارسه» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٩٦-٩٧).

ثم واصل المؤلف توثيقه بمشهد ثانٍ أضاف إليه طبقةً دلاليةً إضافية، حين أشار إلى أن الفارس الصليبي «طعن الحصان في جبهته فخسفها ولم يتزعزع وسلم من تلك الطعنة الثانية» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٩٧). ولا يبدو تكرار عبارة «لم يتزعزع» في مشهدين متتاليين اتفاقاً، بل أسلوب سردي مقصود يُراكم به المؤلف الأدلة على قاعدة واحدة يريد ترسيخها. وزاد دلالةَ المشهد أن ابن منقذ قدّم دليلاً جسدياً ملموساً على حجم الجرح بعد التئامه، إذ أخبر أن الجراحة «كانت بعد أن ختمت إذا أطبق الإنسان كفّه وأدخلها في جبهة الحصان في موضع الجرح وسعها» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٩٧)، وهو قياس حسي مباشر لا يصدر إلا عن شاهد عيان رأى الجرح ولمسه.

ويمتد أثر كامل المشطوب الكردي في نصوص الاعتبار إلى ما بعد حياته، حين يُشير ابن منقذ في موضع آخر إلى شخص يقول عنه: «كان يبيع الدواب ويسمى ابن غازي المشطوب، وإنما سمي بالمشطوب بتلك الضربة» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ١٦٣). وفي هذه الإشارة ما يكشف أن لقب «المشطوب» لم يكن لقباً فردياً طارئاً بل كان لقباً عائلياً متوارثاً نشأ من جرح حرب بعينه وانتقل من الجد إلى الحفيد محمولاً في الاسم وما يختزنه من ذاكرة ميدانية حيّة. ويُثبت انتقال اللقب إلى حفيد يبيع الدواب لا يحمل السلاح أن الهوية العسكرية الكردية في شيزر تحوّلت إلى رأس مال رمزي موروث يحمله أبناء الأسرة في أسمائهم حتى حين انتقلوا إلى مهن مدنية، وهو ما يُثبت العمق الزمني والاجتماعي لهذا الحضور الكردي في المدينة.

– 4فارس الكردي: يقاتل وفاءً بالجميل لا طلباً للسلامة

كشف كتاب الاعتبار عن نموذج إنساني بالغ الدلالة في منظومة القيم الحربية الكردية، إذ وثّق ابن منقذ موقف المقاتل الكردي فارس حين وقعت المعركة المباغتة بين أصحابه وسيف الدولة خلف بن ملاعب الذي «عمل عليهم فيها وغدر بهم وقد حشد وجمع وهم غير متأهبين لما جرى»، فأبلى فارس بلاءً حسناً حتى أُثخن بالجراح وحُمل بين الرجال (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٩٥-٩٦). وحين وقف عليه أصحابه مُهنئين بالسلامة، نفى أن تكون السلامة غايته، مؤكداً أنه

قاتل بين أيديهم وفاءً بجميلهم ومكافأةً لفضلهم (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٩٥-٩٦). وفي هذا الإفصاح ما يُثبت أن الدوافع الحربية لدى بعض المقاتلين الأكراد لم تكن قائمة على الحساب المادي أو الغريزة البقائية، بل على الولاء الشخصي والامتنان الذي يتقدّم على المصلحة الذاتية.

- 5حسنون الكردي: ممثّل آل منقذ أمام دنكري صاحب أنطاكي

أتاحت الروايات التاريخية المتعلقة بالعلاقات السياسية في شمال الشام رصدَ أدوار الأفراد الأكراد في الوساطة بين القوى المتنافسة، ومن أبرز ما أورده ابن منقذ في هذا الشأن حادثةٌ تجمع بين الأبعاد الدبلوماسية والفروسية معاً. فقد وصف كيف أوفد عمّه الحصانَ مع «رجل من أصحابنا كردي يقال له حسنون، وكان من الفرسان الشجعان وهو شاب مقبول الصورة دقيق» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٦٥-٦٦)، ليُجري الحصانَ بين يدي دنكري فيسبق سائر الخيل، فراح الفرسان الحاضرون «يكشفون سواعده ويتعجبون من دقته وشبابه وقد عرفوا أنه فارس شجاع فخلع عليه دنكري» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٦٥-٦٦).

وكشف هذا المشهد عن توظيف مقصود لشخصية الفارس الكردي في سياق دبلوماسي، إذ لم يكن اختيار حسنون عشوائياً بل بدا أن آل منقذ وظّفوا الكفاءة الفروسية الكردية أداةً لاستمالة الخصم السابق وتوطيد العلاقة معه. غير أن الثقة التي منحها حسنون لأمان دنكري أسفرت عن عاقبة وخيمة، إذ ظنّ أنه أخذ أماناً بلغته وعبارته، لكن المؤلف يُعلّق بعبارة كاشفة: «فأهم لا يتكلمون إلا بالإفرنجية ما ندري ما يقولون» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٦٦-٦٧)، فأمر دنكري بقلع عينه اليمنى وطالبه بفدية باهظة بلغت «ألف دينار وحصاناً أدهم [١٣]من خيل خفاجة[١٤]» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٦٦-٦٧). ومثّل هذا الحادث شاهداً تاريخياً على إشكالية التواصل بين الطرفين الإسلامي والإفرنجي، حيث حوّل غيابُ لغة مشتركة العقودَ الشفهيةَ إلى مصيدة لمن وثق بها.

- 6ميكائيل الكردي: في معركة ابن ميمون صاحب أنطاكية

تضمّن كتاب الاعتبار مشاهد حربية أبرزت حضور المقاتلين الأكراد في صفوف جيوش آل منقذ خلال مواجهاتهم مع قوات أنطاكية، ومن أبرزها مشهد ميكائيل الكردي، إذ وصفه ابن منقذ بأنه «في أجنادنا رجل كردي يقال له ميكائيل وقد جاء في أوائل خيلهم منهزماً وخلفه فارس إفرنجي قد لزّه، وللكردي بين يديه ضجيج وصياح عالٍ فلقيته، فمال عن ذلك الكردي وزل عن طريقي وقصد خيل لنا في جماعة على الماء واقفين مما يلينا» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ١٢١-١٢٢). وقد كشف هذا المقطع عن ثلاث دلالات متكاملة؛ فتوثيق لحظة الانهزام لا البطولة وحدها يعكس واقعية المنهج المنقذي في تصوير المقاتل الكردي بتناقضاته الإنسانية الكاملة. وتُشير

الإشارة إلى «الضجيج والصياح العالي» إلى البُعد النفسي للمعركة. وتُفيد ديناميكية انحراف الفارس الإفرنجي عن مطاردة ميكائيل في فهم التكتيكات المتحركة التي ميّزت الاشتباكات على الحدود الشامية في القرن السادس الهجري.

– 7سهل بن أبي غانم الكردي: في مواجهة بدرهوا الإفرنجي

أورد ابن منقذ في الاعتبار مشهداً قصيراً لكنه دالٌّ يتعلق بمواجهة الفارس الإفرنجي بدرهوا لمجموعة من فرسانه كان في عدادهم «يحيى بن صافي وسهل بن أبي غانم الكردي وحارثة النميري وفارس آخر، فحمل عليهم فهزمهم ولحق واحداً منهم طعنه طعنة فشلة ما ألحقه حصانه ليمكن الطعن وعاد إلى الخيام» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٦٧–٦٨). وقد عكس هذا النص واقعيةً سرديةً تميّز أسلوب ابن منقذ، إذ لم يتردد في توثيق لحظات الهزيمة إلى جانب مشاهد البسالة. أما ورود سهل بن أبي غانم الكردي ضمن تشكيل رباعي مختلط الانتماءات فيُعزّز الاستنتاج بأن المقاتلين الأكراد اندمجوا في المنظومة العسكرية لآل منقذ بوصفهم عنصراً متجانساً لا وحدةً منفصلة، يتقاتلون جنباً إلى جنب مع العرب في سياق عسكري موحّد.

ثانياً: الأكراد في عسكر حماة — الأخوان الكرديان بدر وعناز

وثّق ابن منقذ في الاعتبار قصةً إنسانية مؤلمة تتعلق بالأخوين الكرديين بدر وعناز من عسكر حماة، إذ كان عناز «ضعيف النظر»، وحين أخذ رأساً ظنّه رأس عدو قتله وعلّقه في سموط حصانه، فأخبره رفاقه بالحقيقة الصادمة، أجابهم مستغرباً في البداية: «سبحان الله لما يجري بيني وبينه حتى قتلته»، فأعلموه بالحقيقة: «يا رجل هذا رأس أخيك بدر» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ١١٦–١١٧). وحين تثبّت من هوية الرأس اعتراه من الخجل والذهول ما دفعه إلى مغادرة حماة نهائياً دون أن يُعلم أحداً بوجهته حتى انقطعت أخباره (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ١١٦–١١٧).

ولهذه الرواية ثلاثة أبعاد بحثية متكاملة؛ فالإشارة إلى ضعف بصر عناز لم تكن تفصيلاً عرضياً بل تفسيراً موضوعياً للخطأ المأساوي. وكشف قطع الرؤوس وشدّها في السموط عن ممارسة حربية شائعة في سجل الصراع الصليبي. وأثبت اختفاء عناز نهائياً أن الحرب لم تُدمّر الأجساد وحدها، بل كان أثرها النفسي والاجتماعي على جماعات المقاتلين بالغاً لا يقلّ خطورةً عن خسائرها المادية.

ثالثاً: الأمير الكردي في آمد — الأكراد في محيط أمراء الجزيرة وديار بكر

مثّلت عمليات الاستيلاء على المدن بالتواطؤ الداخلي ظاهرةً موثّقة في تاريخ الجزيرة الفراتية وديار بكر خلال القرن السادس الهجري، وقد كشفت رواية ابن منقذ عن محاولة الاستيلاء على

آمد نموذجاً دالاً على تشابك الطموح السياسي الكردي مع تحالفات أمراء المنطقة. فقد دبّر «أمير من الأكراد كان مديوناً بآمد» مؤامرةً مع فخر الدين قرا أرسلان قوامها إدخال العساكر بالحبال من أبراج المدينة في ليلة محددة لتمليكها (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٨٣). غير أن المؤامرة أخفقت بسبب خلل تنظيمي واضح، إذ فوّض فخر الدين تنسيقها إلى «خادم إفرنجي يقال له ياروق والعسكر كله يمقته ويكرهه لسوء أخلاقه»، فلما دلّى الأمير الكردي وأصحابه الحبال من الأبراج لم يصعد أحد، ولما كسروا أقفال الباب لم يدخل أحد (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٨٣). وأرجع المؤلف هذا الإخفاق صراحةً إلى «اعتماد فخر الدين على صبي جاهل في هذا المهم العظيم دون الأمراء الكبار» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٨٣)، في تقييم تحليلي نادر في المصادر الوسيطة يكشف عن إشكالية سوء التفويض في العمليات العسكرية السرية، ويُثبت أن الأمراء الأكراد كانوا فاعلين سياسيين يُبرمون التحالفات ويُدبّرون عمليات الاستيلاء على المدن.

رابعاً: طبيعة العلاقة بين ابن منقذ والأكراد

– 1الترحّم على الأكراد: دليل التقدير اللغوي

توفّر اللغة التاريخية بوصفها نظاماً دلالياً مستقلاً مؤشرات قيّمة على طبيعة العلاقات التي ربطت المؤلفين بالشخصيات الواردة في نصوصهم، وفي هذا السياق يكتسب توظيف ابن منقذ لعبارات الترحم في الاعتبار أهميةً تحليلية بالغة. فقد صرّح بعبارة «رحمه الله» في حق كامل المشطوب (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٩٦) ومياح الكردي (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٤٨)، فيما وردت في سياق الحديث عن فارس الكردي وحمدات الكردي أيضاً (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٩٦، ٤٩). وكانت هذه العبارة في تقاليد الكتابة العربية الوسيطة أكثر من مجرد صيغة تعبدية اعتيادية، بل كانت دليلاً لغوياً على انتماء الشخص إلى دائرة الموثوقين والمُقدَّرين الذين يستحق ذكرهم الدعاء والتبجيل، مما ميّزهم عمّن وردت أسماؤهم دون هذه الإضافة. وقد عزّز هذا التوظيف اللغوي الاستنتاجَ بأن علاقة ابن منقذ بالمقاتلين الأكراد تجاوزت حدود التعامل الوظيفي لتنطوي على تقدير شخصي واعتراف بالفضل.

– 2الوقوف على الكردي الجريح وتهنئته: دليل المكانة الاجتماعية

كشفت الإيماءات الاجتماعية الواردة في الاعتبار عن أبعاد تتجاوز ظاهرها لتعكس طبيعة العلاقات داخل المجتمعات العسكرية الوسيطة. فقد أخبر ابن منقذ أن أباه وعمّه «اجتازا وهو محمول بين الرجال فوقفا عليه وهنآه بالسلامة» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٩٥–٩٦)، في إشارة

إلى فارس الكردي الذي أُثخن بالجراح دفاعاً عنهما. ولم يكن وقوف الأميرين على الجريح المحمول تصرفاً عابراً، بل كان اعترافاً علنياً ببلائه وتضحيته يُرسّخ مكانته في الجماعة العسكرية بصرف النظر عن أصله الإثني. وكشف اختيار المؤلف توثيقَ هذا المشهد تحديداً عن أن صلة آل منقذ بمقاتليهم الأكراد تجاوزت حدود العلاقة التعاقدية لتبلغ مستوى الاعتراف الأخلاقي والتكريم الإنساني.

– 3إعجاب ابن منقذ بطعنة حمدات الشيخ الكردي واستشهاده بالشعر

عكست لحظات الاستشهاد بالشعر في أعقاب المعارك جانباً مهماً من الثقافة الفروسية الوسيطة، وقد وثّق ابن منقذ مشهداً لافتاً يتعلق بحمدات الكردي الشيخ، الذي أردف بسالته الميدانية باستحضار شعري دالٍّ؛ إذ سأل الأميرَ عقب انتهاء القتال: «يا أمير لو أن حمدات كان في المسجد من طعن هذه الطعنة؟» ثم استشهد بأبيات الفند الزماني: «أيا طعنةً ما شيخٌ كبيرٌ يُفنى بالي، تفتيتٌ بها إذ كره الشكةَ [١٥]أمثالي» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٥٠). وكشف هذا الموقف عن أن حمدات لم يكتفِ بإثبات قدرته القتالية، بل أراد أن تُقاس طعنته بمقياس شعري لا بمعيار العمر. وأضفى توثيق ابن منقذ لهذا الموقف دلالةً إضافية، إذ كشف عن التقاء أفقين ثقافيين في شخصية واحدة؛ كردي يحمل في وعيه الشعر العربي الكلاسيكي ويوظّفه تعبيراً عن فخره، وأمير عربي يجد في ذلك ما يستحق الحفظ والتدوين.

– 4تكليف حسنون الكردي بمهمة تمثيل الأسرة: دليل الثقة العالية

كشف اختيار عمّ ابن منقذ لحسنون الكردي لأداء مهمة تسليم الحصان إلى دنكري صاحب أنطاكية عن دلالة تتجاوز البُعد اللوجستي البسيط؛ إذ وصفه المؤلف بأنه «من الفرسان الشجعان وهو شاب مقبول الصورة» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٦٥–٦٦)، وهو توصيف مزدوج لا يُستخدم عادةً لمن يُكلَّف بمهمة عادية. وتبيّن أن هذه المهمة لم تكن نقل هدية بقدر ما كانت تمثيلاً فعلياً لأسرة آل منقذ أمام أمير أنطاكية، مما جعل المكلَّف بها حاملاً لصورة الأسرة وسمعتها أمام خصم سابق. وعزّز هذا الاختيار الاستنتاجَ بأن بعض المقاتلين الأكراد في خدمة آل منقذ تمتّعوا بمكانة اجتماعية جعلتهم أهلاً للتمثيل الدبلوماسي، وأن معايير انتقائهم جمعت بين الكفاءة القتالية والمقبولية الشخصية معاً.

خامساً: الأكراد في المناطق الجغرافية

– 1شيزر وحوض العاصي

تمركزت غالبية الشواهد المتعلقة بالمقاتلين الأكراد في الاعتبار حول منطقة شيزر وحوض نهر العاصي، وهو تركّز جغرافي ارتبط ارتباطاً مباشراً بالموقع الاستراتيجي لشيزر على الضفة اليمنى للعاصي، حيث تقاطعت مصالح القوى المتنافسة من الصليبيين شمالاً وغرباً وإمارات الجزيرة شرقاً، مما جعلها مركز استقطاب دائم لعناصر عسكرية متنوعة الأصول كان الأكراد في طليعتها. وقد توزّعت هذه الشواهد بين البسالة الفردية والمأساة الإنسانية والتمثيل الدبلوماسي والاشتباك المسلح، مما أكّد أن حضور الأكراد في هذا الحوض لم يكن موسمياً أو عرضياً بل كان حضوراً متجذراً في النسيج العسكري والاجتماعي للمنطقة.

– 2حماة وحمص: كامل المشطوب في معارك منطقة حمص

شكّلت منطقة حماة وحمص امتداداً جغرافياً طبيعياً لنفوذ آل منقذ، وقد أثبتت شواهد الاعتبار أن المقاتلين الأكراد انخرطوا في هذا الفضاء بأدوار تجاوزت الخدمة العسكرية المباشرة لتشمل التعاملات الاقتصادية اليومية. ففي ما يخص كامل المشطوب، أورد ابن منقذ أن أخاه «اشتراه من كامل المشطوب وكان ثقيل العدو فأخرجه في ضمان قرية كانت بيننا وبين فارس من إفرنج كفر طاب» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ٩٧)، وهو ما كشف أن العلاقة بين آل منقذ والمقاتلين الأكراد لم تقف عند حدود الارتباط الحربي، بل امتدّت إلى معاملات تجارية في الخيل والأصول. وتكتمل هذه الصورة بما سبق توثيقه عن الأخوين الكرديين بدر وعناز في عسكر حماة (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ١١٦–١١٧)، إذ أثبت الشاهدان معاً أن الوجود الكردي في هذا المحور كان جزءاً راسخاً من البنية العسكرية والاجتماعية للمنطقة.

– 3الجزيرة: العجوز الكردية في حصن ماسر والبيئة الجغرافية الكردية

وثّق ابن منقذ في الاعتبار مشهداً إنسانياً نادراً جرت أحداثه في حصن ماسر الواقع في المنطقة الكردية بين الموصل وديار بكر، حين سألت عجوز كردية الناطورَ عن ولديها فأخبرها بمقتل أحدهما بسهم وبأن الأمير قتل الآخر، فصاحت وكشفت رأسها «وشعرها كالقطنة المندوفة» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ١٥٨–١٥٩). وحين طلب منها الناطور الصمت احتراماً للأمير، ردّت بعبارة بالغة المباشرة: «وأي شيء بقي للأمير يعمل بي، كان لي ولدان قتلهما» (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ١٥٨–١٥٩). ومثّل هذا المشهد توثيقاً لطقس الحداد الأنثوي في البيئة الكردية الوسيطة، وشاهداً على أن الأكراد الذين رصدهم ابن منقذ لم يكونوا عناصر وافدة من خارج

المنطقة، بل أصحاب مجتمعات متجذرة في أراضيهم دفعت أبناءها للخدمة العسكرية وتحمّلت تبعاتها الإنسانية الباهظة.

سادساً: الإشارة إلى جبال الأكراد كبيئة جغرافية — جبال كوهستان[١٦]

أسهمت الإشارات الجغرافية الواردة في الاعتبار في تفسير طبيعة الوجود الكردي وأساليب تحصّنهم، فقد وصف ابن منقذ خصمه بأنه «قد تعلّق في جبال كوهستان» حين نزل بقواته على حصن ماسر (ابن منقذ، ٢٠١٠، ص. ١٥٨)، وهو ما كشف عن توظيف الأكراد للتضاريس الجبلية الوعرة وسيلةً دفاعيةً تعوّض التفاوت في القوة أمام الجيوش المهاجمة. وزاد المشهدَ دلالةً ما صاحبه من موقف إنساني لافت، إذ خرجت امرأة من الحصن تطلب الخام[١٧] لتكفين القادمين، وأعقب ذلك رواية العجوز الكردية الثاكل في حصن ماسر ذاته، فكشف الشاهدان معاً عن نمط اجتماعي متكرر في المصدر؛ إذ برزت المرأة الكردية طرفاً فاعلاً في لحظات المواجهة لا شاهدةً صامتة، واتخذت من الكلام أداةً للتحدي حين ضاقت خيارات المواجهة المسلحة. ويُضيف هذا البُعد قيمةً نوعيةً لفهم البنية الاجتماعية للمجتمعات الكردية الجبلية في القرن السادس الهجري، ويُكمل صورةً رسمها الاعتبار بتدرّج وعمق عبر صفحاته المتفرقة.

الخاتمة

انطلق هذا البحث من سؤال يبدو في ظاهره محدود النطاق، غير أنه كشف في مساره عن عمق غير متوقع: كيف حضر الأكراد في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ؟ وقد أجابت شواهد المصدر عن هذا السؤال بصورة أكثر ثراءً وتعقيداً مما كان يمكن الاستعداد له سلفاً، إذ تبيّن أن الكردي في هذا الكتاب ليس عنصراً عسكرياً وظيفياً مجرداً، بل شخصية إنسانية متعددة الأبعاد رسمها مؤلف شهد حياتها من الداخل وشارك في بعض فصولها.

وقد كشف البحث عن ثلاثة محاور رئيسية تتقاطع فيها شهادة ابن منقذ على الأكراد وتتكامل. أولها أن الاندماج الكردي في التشكيلات العسكرية الإسلامية لم يكن حالةً طارئة ولا استجابةً لضرورة آنية، بل كان تراكماً تاريخياً تجذّر عبر أجيال متعاقبة، ويتجلى ذلك في نموذج حمدات الكردي الذي يمتد حضوره في خدمة آل منقذ من عهد والد المؤلف إلى عهده هو، وفي ضمير الجمع "جندنا" الذي وظّفه ابن منقذ عفو الخاطر ليُدرج الكردي في دائرة الانتماء المشترك دون أن يستشعر أنه يُسجّل حقيقةً اجتماعية بالغة الأهمية.

وثانيها أن منظومة القيم التي حرّكت المقاتل الكردي في هذا المصدر تتجاوز الحسابات المادية والغريزة البقائية، لتبلغ ما يمكن تسميته بأخلاقيات الامتنان؛ فالكردي "فارس" لم يقاتل لأنه يُؤجَر، بل لأن رصيداً من الجميل المتراكم جعله يرى في القتال حتى الموت سداداً لدَين أخلاقي، وهذا

النوع من الدوافع لا تُتيح توثيقه إلا مصادر تقترب من إنسانها بقدر ما اقترب منه ابن منقذ. أما ثالثها فيتمثّل في أن المؤلف وثّق الكردي في كامل تناقضاته البشرية؛ في بطولته وانكساره معاً، في يوم عرسه ويوم مصرعه معاً، في فخره العسكري ووسواسه النفسي معاً، وهذا التوازن التوثيقي هو ما يمنح شهادته مصداقيةً أنثروبولوجية لا تتوافر في المصادر التي آثرت تصفية الرواية على حساب حقيقتها.

وعلى صعيد الخريطة الجغرافية، تبيّن أن الحضور الكردي في الاعتبار لا يقتصر على شيزر وحوض العاصي، بل يمتد إلى حماة وحمص وحصن الجسر في الجزيرة الفراتية، ومنها إلى المناطق الكردية الجبلية في محيط الموصل وديار بكر، مما يرسم ملامح أولية لخريطة انتشار واسعة الأطراف متعددة الوظائف. كما كشف البحث عن بُعد غائب في معظم الدراسات السابقة، وهو أن الكردي في هذا المصدر لم يُحصَر في صورة الجندي المقاتل، بل ظهر في مراتب قيادية رفيعة تتجلى في شخصية أسد الدين شيركوه الذي ساير ابن منقذ ركبه وختم ذكره بالترحم، وفي الأرتقيين الذين تجاوزوا دور الجندي ليبلغوا مرتبة الأمراء المؤسسين لسلالات حاكمة.

بيد أن البحث يُقرّ بأن ما حقّقه لا يعدو كونه خطوةً أولى في مسار بحثي أطول. فثمة أسئلة لا يزال المصدر يحتجب عن الإجابة عنها بصورة قاطعة، في مقدمتها مسألة ما إذا كانت رؤية ابن منقذ للأكراد تعبيراً عن موقفه الشخصي بوصفه أميراً شيزرياً عاش في كنفهم، أم أنها تعكس نمطاً أشمل في طريقة تمثيل الأكراد في الكتابة التاريخية العربية الوسيطة. والإجابة الموثوقة عن هذا السؤال تستلزم مقارنة منهجية مع ما أورده ابن القلانسي في ذيل تاريخ دمشق، وابن الأثير في الكامل، وابن العديم في بغية الطلب في تاريخ حلب، وهو ما يمثّل البحث اللاحق الضروري الذي لا يكتمل هذا العمل إلا به.

وتبقى الإضافة الجوهرية التي يرجو هذا البحث تقديمها إلى حقل الدراسات المتعلقة بالاعتبار أنه أعاد الاعتبار لظاهرة ظلت في هامش الاهتمام، وأثبت أن فهم هذا المصدر لا يكتمل دون استحضار الطيف الكردي الحاضر في ثناياه بإلحاح لافت، وأن الأكراد في هذا الكتاب ليسوا هامشاً يمكن تجاوزه، بل خيطاً أصيلاً في نسيجه لا يتضح المعنى الكامل للمصدر دون متابعته والنظر فيه.

جدول ملخص شامل لجميع الاقتباسات مع الصفحات

الرقم	الشخصية أو الحدث	القوة التي يخدمها	المنطقة الجغرافية	الصفحة	المبحث
1	حمدات الكردي — التعريف به وقِدَم صحبته	آل منقذ / شيزر	شيزر	ص. ٤٩–٥٠	المبحث الثاني والرابع
2	حمدات — رفض القعود وطلب العودة للقتال	آل منقذ / شيزر	شيزر	ص. ٥٠	المبحث الثاني والثالث
3	حمدات — الطعنة الخارقة مستقبلاً القبلة	آل منقذ / شيزر	شيزر	ص. ٥٠	المبحث الثاني والثالث
4	حمدات — قصة الثريدة في طريق أصفهان	آل منقذ / شيزر	رحلة أصفهان	ص. ٥١	المبحث الرابع
5	مياح الكردي — يقتل إفرنجياً بإدخال الزرد	آل منقذ / شيزر	شيزر	ص. ٤٨	المبحث الثاني والرابع
6	مياح — يُقتل في يوم عرسه بثوب العروس	آل منقذ / شيزر	شيزر	ص. ٤٨	المبحث الثاني والثالث
7	كامل المشطوب — التعريف به: الشجاعة والدين والخير	آل منقذ / شيزر	شيزر	ص. ٩٦–٩٧	المباحث الثاني والثالث والرابع
8	كامل المشطوب — الطعنة الأولى في رقبة الحصان وفخذه	آل منقذ / شيزر	شيزر	ص. ٩٦–٩٧	المبحث الثاني والرابع
9	كامل المشطوب — الطعنة الثانية في جبهة الحصان	آل منقذ / شيزر	شيزر	ص. ٩٧	المبحث الثاني
10	كامل المشطوب — الإرث العائلي للقب المشطوب	آل منقذ / شيزر	شيزر	ص. ١٦٣	المبحث الرابع
11	فارس الكردي — يقاتل وفاءً لا طلباً للسلامة	آل منقذ / شيزر	شيزر / أفامية	ص. ٩٥–٩٦	المباحث الثاني والثالث والرابع
12	حسنون الكردي — التعريف والتكليف بتمثيل الأسرة	آل منقذ / أنطاكية	شيزر	ص. ٦٥–٦٦	المبحث الثاني والرابع
13	حسنون — قلع عينه جزاءً لثقة خاطئة بأمان شفهي	آل منقذ / أنطاكية	شيزر	ص. ٦٦–٦٧	المبحث الرابع
14	سرهنك الكردي — الشاب المقدَّم في الأكراد	آل منقذ / حماة	حماة / شيزر	ص. ٣٦–٣٧	المبحث الثاني
15	ميكائيل الكردي — منهزماً في معركة	آل منقذ / شيزر	شيزر	ص. ١٢١–	المبحث الثاني

الرقم	الشخصية أو الحدث	القوة التي يخدمها	المنطقة الجغرافية	الصفحة	المبحث
	ابن ميمون			١٢٢	والرابع
16	سهل بن أبي غانم الكردي — في مواجهة بدرهوا الإفرنجي	آل منقذ / شيزر	شيزر	ص. ٦٧–٦٨	المبحث الثاني والرابع
17	زهر الدولة بختيار القبرصي الكردي — حضور الذهن تحت الأسد	آل منقذ / شيزر	شيزر	ص. ٨٦–٨٧	المبحث الثاني
18	علي بن محبوب الكردي — مقاتل يمتلك خدماً ويعيش حياة أسرية	آل منقذ / شيزر	شيزر / الجسر	ص. ١٢٢–١٢٣	المبحث الثالث والرابع
19	بريكة — أمة علي بن محبوب الثابتة أمام الإفرنج	آل منقذ / شيزر	شيزر	ص. ١٢٢–١٢٣	المبحث الثالث
20	أبو الجيش الكردي — الوسواس بعد سبي ابنته رفول	جند الجسر	حصن الجسر / الجزيرة	ص. ١٤٩–١٥٠	المبحث الثالث والرابع
21	رفول ابنة أبي الجيش — الغرق بدلاً من الأسر	جند الجسر	حصن الجسر / الجزيرة	ص. ١٥٠	المبحث الثالث
22	الأخوان بدر وعناز — الأخ يقطع رأس أخيه دون أن يعرفه	عسكر حماة	حماة	ص. ١١٦–١١٧	المبحث الثالث والرابع
23	الأمير الكردي في آمد — يدبّر الاستيلاء على المدينة	تحالف مع فخر الدين قرا أرسلان	آمد / الجزيرة	ص. ٨٣	المبحث الرابع
24	العجوز الكردية في حصن ماسر — تفقد ولديها وتصرخ في وجه السلطة	مدنيون كرد	الجزيرة / كوهستان	ص. ١٥٨–١٥٩	المبحث الثالث والرابع
25	جبال كوهستان — البيئة الجغرافية الكردية الجبلية	—	الجزيرة الفراتية	ص. ١٥٨	المبحث الرابع
26	أسد الدين شيركوه — أمير كردي كبير يساير ابن منقذ ركبه	قيادة جيش نور الدين	بصرى / الشام	ص. ١٤	المبحث الثاني والرابع
27	نجم الدين إيلغازي بن أرتق — كاسر الإفرنج في البلاط	الأرتقيون / أمراء مستقلون	الجزيرة / الشام	ص. ١١٩، ٤٠	المبحث الأول والرابع
28	حسام الدين تمرتاش بن إيلغازي — يحمل الملك بغدوين أسيراً	الأرتقيون / أمراء مستقلون	الجزيرة / الشام	ص. ١٥٥، ١٢١	المبحث الرابع
29	فخر الدين قرا أرسلان بن داود — صاحب حصن كيفا	الأرتقيون / أمراء مستقلون	حصن كيفا / الجزيرة	ص. ١٥٥، ١٩٦، ٨٣	المبحث الرابع

[١]) الرمح الطويل الثقيل المستخدم في الفروسية، مشتقة من الكلمة اللاتينية اينظر: من حاشية كتاب الاصفهاني : **عماد الدين أبو حامد محمد بن محمد ،البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان** ، تحقيق:**عمر عبد السلام تدمري ،المكتبة العصرية للطباعة والنشر، (بيروت – لبنان :١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م)**، ص ٣٩٢ ،عصا الرمح أو الحربة.

[١]) ضمانك وعهدك بعدم إيذائي ينظر: **الشيرازي: أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف، المهذب في فقه الإمام الشافعي ،دار الكتب العلمية**ج٣ ، ص ٢٨٠الأمان بالقول وهو أن يقول أمنتك أو أجرتك أو أنت آمن أو مجار أولا بأس عليك أولا خوف عليك أولا تخف أو مترس بالفارسية وما أشبه ذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن"

[١]) تتخذني صنيعةً لك أي تستبقيني خادماً أو تابعاً بدلاً من قتلي ينظر: ابن منضور ، لسان العرب ج٨، ص٢١٢،، والصَّنِيعةُ: مَا أَعْطَيْتَه وأَسْدَيْتَه مِنْ مَعْرُوفٍ أَو يَدٍ إِلى إِنسان تَصْطَنِعُه بِهَا

الهوامش

---

[٢]) إلحاقاً :أي ملحقاً إضافياً، وهو مصطلح تدويني يشير إلى مادة أُضيفت لاحقاً.ينظر: بن سيده المرسي: أبو الحسن علي بن إسماعيل ، المحكم والمحيط الأعظم ، تحقق: عبد الحميد هنداوي ،دار الكتب العلمية (بيروت : ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م) ،ج٣ ، ص١١

[٤]) مقدمة الرقبة السفلى، وهو أضعف نقاط الدرع على الحصان أبو علي: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، الحجة للقراء السبعة ، تحقيق: بدر الدين قهوجي – بشير جويجابي ، ط٢،دار المأمون للتراث (بيروت :١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م)ج٥ ، ص٨٩

[٥]) في اللحظات الأخيرة قبيل الموت، والرمق هو آخر ما تبقى من الحياة ينظر: الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم ، كتاب العين ، تحقيق: مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، (د.م:د.ت) دار ومكتبة الهلال ج٥ ، ص١٦٠ الرَّمَقُ: بقية الحياة : بن سيده المرسي: أبو الحسن علي بن إسماعيل ، المحكم والمحيط الأعظم ، تحقق: عبد الحميد هنداوي ،دار الكتب العلمية (بيروت : ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م) ،ج٣ ، ص١١ بقوله : اللَّحَقُ واللُّحوقُ واللَّحاقُ: الْإِدْرَاك. لحق الشَّيْء وألحقَه، وَكَذَلِكَ لحِقَ بِهِ وألْحَقَ. وَفِي الْقُنُوت: " إنَّ عذابَك بالكافرِين مُلحِقٌ ".

[٦]) شاعر جاهلي مشهور بقوله في مفاخر الشيوخ في الحرب، واسمه شهل بن شيبان من هامش كتاب الكلبي : أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب، جمهرة النسب ،تحقيق: د حسن ناجي ،عالم الكتب (بيروت :، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م)ص٤٨٧

[٧]) صار علامة مميزة تجعله مرئياً وبارزاً في ساحة المعركة، وهو ما جعله هدفاً سهلاً ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية

صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية (الكويت :١٤٠٤ – ١٤٢٧ هـ) ج١٢ ، ص ٤٠التشهير

[٨]) الغث فيه الجراح وأثقلته حتى عجز عن الحركة ينظر : الشافعي: أبو يحيى زكريا الأنصاري، أسنى المطالب في شرح روض الطالب ،المطبعة الميمنية، (د.ت:١٣١٣ هـ)، ج٤ ، ص١١٤،

[٩]) القطن المنفوش بعد ندفه بالمندف، أي الأداة التي تُفرد القطن وتُفككه ليصير أبيض ناعماً منتفشاً — وهي صورة توضح شيب الشعر وانتشاره حال الصراخ ينظر الى هامش الكتاب الفارابي: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ،الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،ط٤ ،دار العلم للملايين (بيروت :١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م) ج٤ ، ص١٤٣٠

[١٠]) دركاه: كلمة فارسية تعني الباب الرفيع أو بلاط السلطان، وهي مصطلح دارج للدلالة على الحضرة السلطانية من حاشية كتاب أسامة بن منقذ : أبو المظفر، كتاب العصا ،تحقيق: عبد السلام هارون ، ط٢،شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده (مصر :١٣٩٣ هـ – ١٩٧٢ م) ، ج١ ، ص١٨٢ ،

[١١]) هو ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي (ت.٤٨٥هـ/١٠٩٢م)، أحد أعظم سلاطين السلاجقة من حاشية كتاب ابن منقذ ، العصا ، ج١ ، ص١٨١

[١٢]) طبق من الخبز المفتّت المنقوع في المرق أو الدهن، وكان من أشهر أطباق العرب في الجاهلية والإسلام ينظر : الأزدي: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ،جمهرة اللغة ا، تحقيق: رمزي منير بعلبكي ،دار العلم للملايين (بيروت :١٩٨٧م)،ج١ ، ص٤١٩:

[١٣]) شديد السواد البريق، وكان من أنفس الألوان في الخيل العربية السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، قوت المغتذي على جامع الترمذي (د.م:١٤٢٤ هـ)ج١ ، ص٤٢٨"

[١٤]) خيل قبيلة خفاجة العربية الشهيرة بتربية الخيل الأصيلة، وكانت منسوبة إليها بوصفها أجود الخيل ينظر: كجالة : عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني ،معجم قبائل العرب القديمة والحديثة،ط٧ ،مؤسسة الرسالة،(بيروت :١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م)، ج١ ، ص٣٥٠

[١٥]) لسلاح الكامل أو الدرع التام، ويُقصد بكراهة الشكة رفض المقاتل للتقاعد عن الحرب ينظر: سيجريد هونكه ،شمس الله تشرق على الغرب = فضل العرب على أوروبا ،ترجمه وحققه وعلق عليه: أ. د. فؤاد حسنين علي ،دار العلم العربي .ط٢(د.م:١٤٣٢ هـ)،ص ٤٥٧

[١٦]) كلمة فارسية مركبة من "كوه" أي جبل و"ستان" أي بلاد، وتعني بلاد الجبال، وهي تسمية تُطلق على المناطق الجبلية الكردية في الجزيرة الفراتية. ينظر: ياقوت الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي،معجم البلدان ،ط٢،،دار صادر،(بيروت :١٩٩٥ م)ج٤ ، ص٤١٦

[١٧]) القماش الأبيض غير المصبوغ الذي يُصنع منه الكفن : ينظر: الصيرفي: علي بن داود الجوهري، إنباء الهصر بأنباء العصر ، تحقيق: حسن حبشي،ط٢ ،الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة :١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م ٩خ،ص ١٤٠

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر الأولية

ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢ هـ / ١٠٠٢ م)

١. الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ت.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م)

٢. جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

ابن سيده المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م)

٣. المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م)

٤. لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.

ابن منقذ، أبو المظفر أسامة (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م)

٥. كتاب العصا، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٩٣هـ/١٩٧٢م.

ا بن منقذ، أبو المظفر أسامة (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م)

٦. الاعتبار ،تحرير فيليب حتي، مكتبة الثقافة الدينية، (مصر:٢٠١٠)، ٢٢٦ صفحة

الأزهري، محمد بن أحمد الهروي (ت ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م)

٧. تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

الأصفهاني، عماد الدين أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م)

٨. البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

الأنصاري، أبو يحيى زكريا الشافعي (ت ٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م)

٩. أسنى المطالب في شرح روض الطالب، المطبعة الميمنية، ١٣١٣هـ.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م)

١٠. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

الخليل بن أحمد الفراهيدي، أبو عبد الرحمن (ت ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م)

١١. كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.م، د.ت.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)

١٢. قوت المغتذي على جامع الترمذي، د.م، ١٤٢٤هـ.

الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف (ت ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م)

١٣. المهذب في فقه الإمام الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

الصيرفي، علي بن داود الجوهري (ت ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م)
١٤. إنباء الهصر بأنباء العصر، تحقيق: حسن حبشي، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
العمراني اليمني، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم (ت ٥٥٨ هـ / ١١٦٣ م)
١٥. البيان في مذهب الإمام الشافعي، تحقيق: قاسم محمد النوري، دار المنهاج، جدة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين (ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م)
١٦. معجم ديوان الأدب، تحقيق: أحمد مختار عمر، مراجعة: إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (ت ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م)
١٧. الحجة للقراء السبعة، تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجابي، ط٢، دار المأمون للتراث، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م)
١٨. جمهرة النسب، تحقيق: حسن ناجي، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م)
١٩. معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

ثانياً: الموسوعات والمعاجم الحديثة

كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني
٢٠. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت
٢١. الموسوعة الفقهية الكويتية، الكويت، ١٤٠٤-١٤٢٧هـ.

ثالثا : المراجع المترجمة

هونكه، سيجريد
٢٢. شمس الله تشرق على الغرب: فضل العرب على أوروبا، ترجمة وتحقيق: فؤاد حسنين علي، ط٢، دار العلم العربي، ١٤٣٢هـ.
الدكتور أحمد صالح أحمد المنشور في مجلة جامعة زاخو بعنوان "الكرد في مؤلفات مؤيد الدولة أسامة بن منقذ (ت٥٨٤هـ/١١٨٨م)" عام ٢٠١٨،

List of Sources and References

First: Primary Sources

Ibn Jinni, Abu al-Fath Uthman (d. 392 AH / 1002 CE(
.١Al-Khasa'is, edited by Muhammad Ali al-Najjar, 4th edition, Egyptian General Book Organization, Egypt, n.d.
Ibn Duraid, Abu Bakr Muhammad ibn al-Hasan al-Azdi (d. 321 AH / 933 CE(

.٢Jamharat al-Lughah, edited by Ramzi Munir Baalbaki, Dar al-Ilm lil-Malayin, Beirut, 1987 CE.
Ibn Sidah al-Mursi, Abu al-Hasan Ali ibn Ismail (d. 458 AH / 1066 CE(
.٣Al-Muhkam wa al-Muhit al-A'zam, edited by Abd al-Hamid Hindawi, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1421 AH / 2000 CE.
Ibn Manzur, Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad ibn Mukarram (d. 711 AH / 1311 CE(
.٤Lisan al-Arab, Dar Sader, Beirut, n.d.
Ibn Munqidh, Abu al-Muzaffar Usamah (d. 584 AH / 1188 CE(
.٥Kitab al-'Asa (The Book of the Staff), edited by Abd al-Salam Harun, 2nd edition, Mustafa al-Babi al-Halabi & Sons Library and Printing Company, Egypt, 1393 AH / 1972 CE.
Ibn Munqidh, Abu al-Muzaffar Usamah (d. 584 AH / 1188 CE(
.٦Al-I'tibar (The Book of Reflection), edited by Philip Hitti, Maktabat al-Thaqafah al-Diniyyah (Religious Culture Library), (Egypt: 2010), 226 pages.
Al-Azhari, Muhammad ibn Ahmad al-Harawi (d. 370 AH / 980 CE(
.٧Tahdhib al-Lughah (Refinement of Language), edited by Muhammad Awad Mur'ab, Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi, Beirut, 2001 CE.
Al-Isfahani, Imad al-Din Abu Hamid Muhammad ibn Muhammad (d. 597 AH / 1201 CE(
.٨Al-Bustan al-Jami' li-Jami' Tawarikh Ahl al-Zaman (The Comprehensive Garden of All Histories of the People of the Time), edited by Omar Abd al-Salam Tadmur, Al-Maktabah al-'Asriyyah li-l-Tiba'ah wa-l-Nashr, Beirut, 1423 AH / 2002 CE.
Al-Ansari, Abu Yahya Zakariya al-Shafi'i (d. 926 AH / 1520 CE(
.٩Asna al-Matalib fi Sharh Rawd al-Talib (The Highest Aspirations in Explaining the Garden of the Seeker), Al-Matba'ah al-Maymaniyyah, 1313 AH.
Al-Jawhari, Abu Nasr Ismail ibn Hammad al-Farabi (d. 393 AH / 1003 CE(
.١٠Al-Sihah Taj al-Lughah wa-Sihah al-'Arabiyyah (The Correct Language: The Crown of Language and the Correct Arabic), edited by Ahmad Abd al-Ghafur Attar, 4th edition, Dar al-'Ilm lil-Malayin, Beirut, 1407 AH / 1987 CE.
Al-Khalil ibn Ahmad al-Farahidi, Abu Abd al-Rahman (d. 170 AH / 786 CE(
.١١Kitab al-'Ayn, edited by Mahdi al-Makhzumi and Ibrahim al-Samarrai, Dar wa Maktabat al-Hilal, n.p., n.d.
Al-Suyuti, Abd al-Rahman ibn Abi Bakr Jalal al-Din (d. 911 AH / 1505 CE(
.١٢Qut al-Mughtadhi 'ala Jami' al-Tirmidhi, n.p., 1424 AH.

Al-Shirazi, Abu Ishaq Ibrahim ibn Ali ibn Yusuf (d. 476 AH / 1083 CE(
.١٣Al-Muhadhdhab fi Fiqh al-Imam al-Shafi'i, Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, Beirut, n.d.
Al-Sayrafi, Ali ibn Dawud al-Jawhari (d. 393 AH / 1003 CE(
.١٤Inba' al-Hasr bi-Anba' al-'Asr, edited by Hassan Habashi, 2nd edition, Egyptian General Book Organization, Cairo, 1423 AH / 2002 CE.
Al-'Umrani al-Yamani, Abu al-Husayn Yahya ibn Abi al-Khayr ibn Salim (d. 558 AH / 1163 CE(
.١٥Al-Bayan fi Madhhab al-Imam al-Shafi'i, edited by Qasim Muhammad al-Nuri, Dar al-Minhaj, Jeddah, 1421 AH / 2000 CE.
Al-Farabi, Abu Ibrahim Ishaq ibn Ibrahim ibn al-Husayn (d. 350 AH / 961 CE(

.١٦Mu'jam Diwan al-Adab, edited by Ahmad Mukhtar Omar, reviewed by Ibrahim Anis, Dar al-Sha'b Foundation for Press, Printing and Publishing, Cairo, 1424 AH / 2003 CE.
Al-Farsi, Abu Ali al-Hasan ibn Ahmad ibn Abd al-Ghaffar (d. 377 AH / 987 CE(
.١٧Al-Hujjah li'l-Qurra' al-Sab'ah (The Proof for the Seven Reciters), edited by Badr al-Din Qahwaji and Bashir Juwayjabi, 2nd ed., Dar al-Ma'mun li'l-Turath, Beirut, 1413 AH / 1993 CE.
Al-Kalbi, Abu al-Mundhir Hisham ibn Muhammad ibn al-Sa'ib (d. 204 AH / 819 CE(
.١٨Jamharat al-Nasab (The Compendium of Genealogies), edited by Hasan Naji, Alam al-Kutub, Beirut, 1407 AH / 1986 CE.
Yaqut al-Hamawi, Shihab al-Din Abu Abd Allah Yaqut ibn Abd Allah al-Rumi (d. 626 AH / 1229 CE(
.١٩Mu'jam al-Buldan (Dictionary of Countries), 2nd ed., Dar Sader, Beirut, 1995 CE.

Second: Modern Encyclopedias and Dictionaries

Kahala, Omar bin Rida bin Muhammad Raghib bin Abdul Ghani
.٢٠Dictionary of Ancient and Modern Arab Tribes, 7th ed., Al-Risalah Foundation, Beirut, 1414 AH/1994 CE.
Ministry of Awqaf and Islamic Affairs, Kuwait
.٢١Kuwaiti Encyclopedia of Islamic Jurisprudence, Kuwait, 1404-1427 AH.

Third: Translated References

Honke, Sigrid
.٢٢The Sun of God Shines on the West: The Arabs' Contribution to Europe, translated and edited by Fuad Hassanein Ali, 2nd ed., Dar Al-Ilm Al-Arabi, 1432 AH.

Dr. Ahmed Saleh Ahmed, published in the University of Zakho Journal under the title "The Kurds in the Works of Mu'ayyad al-Dawla Usama bin Munqidh (d. 584 AH/1188 CE)" in 2018.